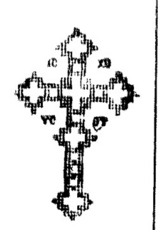
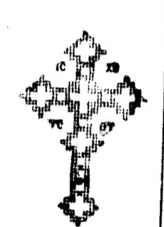


إشعياء

الكتاب السادس



الاصحاحات من ٤٠ - ٤٦



القمص لوقا سيداروس

إشعياء

الكتاب السادس

الاصحاحات من ٤٠ - ٤٦

القمص لوقا سيداروس



قداسة البابا شنودة الثالث

إشعياء ٤٠

١ – عزّوا عزّوا شعبى يقول إلهكم

٢ – طيّبوا قلب أورشليم . ونادوها بأن جهادها قد كمل أن إثمها قد عُفى عنه . أنها قد قبِلت من يد الرب ضعفين عن كل خطاياها .

هكذا يبدو مطلع الجزء الثانى من نبوّات إشعياء ، كمطلع الفجر وانبثاق النور وهو بالحقيقة هكذا إذ يختص هذا الجزء من النبوات بزمن المسيّا ، والعهد الجديد عهد النعمة والخلاص وغفران الخطايا والدخول فى حالة النعمة وسكب الروح القدس على كل بشر.

فلا عجب إن كان بدء التبشير بالإنجيل يصير بكلمات عزاء وتطييب قلب لتلك البشرية التى تعذبت زماناً هذا مدته ترزح تحت وطأة روح الظلمة ونير سيدٍ قاسٍ ، أقل ما يشبّه به هو فرعون الذى ثقل النير على الآباء فى القديم وجعلهم تحت سياط التسخير يشعرون بمذلة العبودية وقسوة الظلم فيتنهدون فيصل تنهدهم إلى رب الصباؤوت..

فإذا أتت إليهم بشارة الخلاص سجدوا للرب شاكرين

للذى افتقدهم وتذكر ميثاقه وعهده المقدس مع آبائهم ، وهكذا يصير الإنجيل بشارة فرح لكل اسرى الخطايا .

وفى الترجمة السبعينية فإن الخطاب ، **عزّوا عزّوا شعبى يقول إلهكم للكهنة** ، هو موجه لكهنة العهد الجديد وكلاء السرائر ، خلفاء الرسل الذين صار فيهم الروح القدس المعزى كينبوع للخلاص وصاروا ملوكاً وكهنة .

فالرسل قبلوا الروح القدس المعزى يوم الخمسين ، وصاروا يضعون ايديهم على الذين يجددونهم بالمعمودية فيقبلون عطية الروح القدس . بهذا صاروا يبشرون بالسلام ويمنحون العزاء ، ليس كما يعطى العالم بل إذ قبلوا الروح المعزى صار لهم سلطان أن يعطوه أيضاً .

،عزوا .. عزوا شعبى ، .

عوض أزمنة الظلمة .. لكم أيها المتّقون اسمى تشرق شمس البر .

عوض ما ملكت الخطية للموت .. فقد ظهر بر اللّه بالمسيح يسوع .

عوض الشوك والحسك .. قد كسر شوكة الموت .

عوض النوح والرماد .. صار الفرح والسرور .

عوض الدموع والبكاء .. يفرحون أمامك كالفرح فى الحصاد .

« قَبِلت من يد الرب ضعفين عن كل خطاياها » .

يد الرب الممدودة بالقوة ومعتزة فى الخلاص .

يمين الرب صنعت قوة يمين الرب رفعتنى .

في استعلان الخلاص وزمن المنسيّاً ، يمد الرب يده شافياً الجراح فاتحاً أعين العميان ، يلمس بيده مواضع الضعف في المتسلط عليهم إبليس ، وجميع الذين لمسوه برئوا .. حقاً لقد قبلت أورشليم من يد المسيح ضعفين عن كل خطاياها ، ولعل قصة شفاء المفلوج تصير أجمل تعبير عن حالة أُورشليم فالرب إذ نظر إلى إيمان حامليه قال له مغفورة لك خطاياك . وإذ تذمر الفريسيون قال لهم أيما أيسر أن يقال مغفورة لك خطاياك أم أن يقال قم احمل سريرك وامش . ولكن لكى تعلموا أن لابن الانسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا ، قال للمفلوج حينئذٍ : قم احمل سريرك واذهب إلى بيتك .

وهكذا عوض شلل الجسد ونير الخطايا على النفس ، قبل هذا الانسان من يد المسيح ضعفين ، غفراناً للخطايا وصحة للنفس والجسد والروح ، وهذا بعينه هو سخاء نعمة المسيح المخلص .

فنحن إذ كنا مديونين بالذنوب والخطايا ، سدد الديون عنا ضعفين ، فصرنا ببر المسيح فى غنى جزيل .

فأنت إن وجدت إنساناً مديوناً بعشرة آلاف ، فإن أعطيته عشرة آلاف فإنه يسدد دينه ويبقى بعد فقيراً ، أما الرب فقد قدم ضعفين إذ سدد الدين الذى كان علينا فى الناموس والفرائض ، وأغنانا بدم صليبه ، **لأن الناموس بموسى أعطى ، أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا ،** ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا نعمة فوق نعمة ..

طيّبوا قلب أورشليم :

تطييب القلب هو الفرح القلبى والنشوة والانشراح ، وكان يعبر بهذا التعبير عندما يشرب الانسان الخمر وينسى كل ما حوله من هموم الدنيا فيقال عن الانسان أنه طاب قلبه ، بمعنى أنه صار فى نشوة السكران الذى أذهبت الخمر كل أحزانه وأتعابه . أما بالنسبة لأورشليم – مدينة الملك العظيم – كنيسة الله ، فهو يوصى رسله الأطهار وكهنة العهد الجديد أن يُطيّبوا قلب أورشليم لا بخمر مادي سريع الزوال بل بسكر الروح القدس ونشوة الحب الإلهى الذى سُكب على الصليب **« لا تسكروا بالخمر الذى فيه الخلاعة بل امتلئوا من الروح » .. « لأن حبك أطيب من الخمر »** .

هكذا إذ سكب الرب على كنيسته روح العزاء ، صار فيها أيضاً روح القلب المطيّب . الفرح المنتشى بنشوة الحب الإلهى والمتعزى عن جميع الأتعاب والأحزان . ألم ير الناس باكورة طيب القلب هذا فى الرسل الأطهار يوم الخمسين فظنوهم سكارى ! !

جهادها قد كمل :

أما كمال الجهاد والصراع والترقب والانتظار فهذا بسبب أنه قد كمل الزمان ...

كمل الزمان الذى فيه ملكت الخطية وساد روح الظلمة.. والآن يستعلن الزمن الجديد ، زمن الخلاص ، والوقت المقبول ، وعهد النعمة ...

هكذا صارت بُشرى الخلاص .. الشعب الجالس فى الظلمة أبصر نوراً عظيماً ، والجالسين فى الظلمة وظلال الموت .. أشرق عليهم نور مخلصنا .. وانتهى زمان المخاض والولادة بالأتعاب ، وجاء زمن الفرح الذى لا ينطق به .

عدد ٣ – ٥ :

« ٣– صوت صارخ فى البرية أعدوا طريق الرب . قوموا فى القفر سبيلاً لإلهنا .

٤- كل وطاء يرتفع وكل جبل وأكمة ينخفض ويصير المعوج مستقيماً والعراقيب سهلاً . فيُعلن مجد الرب ويراه كل بشرٍ جميعًا لأن فم الرب تكلم .

عندما أرسل رؤساء اليهود كهنة ولاويين ليسألوا القديس يوحنا المعمدان هل هو المسيح ؟ أقرّ ولم ينكر أنه ليس هو المسيح بل مرسل أمامه ، وحينما قالوا له من أنت؟ حينئذ أجاب ليس من عنده بل أجابهم بقول إشعياء النبى « أنا صوت صارخ فى البرية أعدوا طريق الرب قوّموا سبله مستقيمة » .

الموضوع هنا نبوى رؤيوى ، فهو يقدم للعالم قبل أكثر من ٦٠٠ سنة ، بزوغ فجر زمان المسيح .. كيف تشرق شمس البر على العالم الغارق فى الظلمة . ويقدم منظر السابق ، يوحنا المعمدان ، الذى يتقدم أمام الرب بروح إيليا وقوته .. لذلك يصفه قائلاً صوت صارخ فى البرية ، فهو مجرد صوت لذاك الذى يتكلم من البدء ...

هو يتلاشى إذا ما قورن بالمتكلم . يقول ينبغى أن ذاك يزيد وأنى أنقص . نعم لقد تصاغر جداً كموجات الصوت ... ولكن هذا الصوت هز أورشليم كلها فخرجت إليه .

هز الضمائر الميتة ، والنفوس المتقاعسة ، والذين سد

رئيس هذا العالم آذانهم فثقلت عن السماع .

صار هذا الصوت صارخاً .. فى البرية .. حقاً إن العالم يوم استعلان زمن المسيّا .. صار من جهة الروح كقفر مقحل ، كبرية لا حياة فيها .

عندما تكلم القريبين فلا داعى للصراخ ... أما البعيدين فمن ينبههم سوى صوت الصارخ . عندما تكلم المتيقظين الساهرين ، فبالهدوء وبصوت خفيض ، أما الغافلون والمثقلون بالنوم فما الذى يوقظهم سوى صوت الصارخ .

عندما تُكلم الذين فى الصحو والوعى ، فبالكلام اللين تجتذبهم ، أما السكارى فصوت الصارخ يرجعهم إلى صوابهم .

عندما دوت شهادة المعمدان ، وسمع صدى الصوت فى أرجاء اليهودية ، توبوا لأنه قد اقترب منكم ملكوت اللّه .. اهتزت أوتار القلوب ، كما نخسوا فى قلوبهم فى يوم الخمسين .

اعدوا طريق الرب :

يوحنا انحصرت رسالته فى تهيئة الطريق ، كنبوة

ملاخى « **هأنذا أرسل أمام وجهك ملاكى الذى يهيئ الطريق قدامى** » . وكبشارة غبريال الملاك لزكريا أبوه « **يهيئ للرب شعبًا مستعدًا** » . ونبوة اشعياء تلقى ضوءاً أكثر على هذا الشخص العجيب ، وهى ذات إجابته حينما سُئل من أنت ؟ « **أنا صوت صارخ فى البرية أعدوا طريق الرب .. قوموا سبله مستقيمة** » .

فالمعمودية هى رسالته وهى اسمه وشخصه ورسمه ، وإعداد طريق الرب هو حياته وكرازته فى أن واحد . فحينما يصل الإخلاص إلى ملء قامته ، ويتبنى الانسان رسالته بكل قلبه وفكره وحبه ، يصير هو ورسالته جزءاً لا يتجزأ، هكذا ارتبطت المعمودية التى هى عمل يوحنا ورسالته ، ارتبطت باسمه فصار يعرّف بها أو تعرف به فيقولون يوحنا المعمدان ، أو معمودية يوحنا .. فهو صوت صارخ اعدوا طريق الرب ، وهو بذاته يهيئ طريق الرب .. فهو يفتح طريقاً فى القلوب لكى يدخل المسيح ويملك . وهو المثل الأعلى لهذا الانفتاح القلبى والذهنى .. فلم يكتشف أحد المسيح كما اكتشفه المعمدان ، ولم يتعرف أحد على المسيح كما تعرف عليه المعمدان .. ولم يقدم أحد المسيح للعالم كما قدمه المعمدان .

+ كل وطاء يرتفع وكل جبل وأكمة ينخفض .

هذا هو عمل المسيا وهذه ملامح زمن الخلاص .. كما نطق الروح بفم المطوبة القديسة مريم والدة الإله .. « أنزل الأعزاء عن الكراسى ورفع المتّضعين ، أشبع الجياع خيرات وصرف الأغنياء فارغين » فهو أعلن هذه للأطفال، للبسطاء ، وأخفاها عن الحكماء والفهماء .

المساكين بالروح يطوبون الحزانى يتعزون ،

المطرودين من أجل البر يرثون الملكوت .

بينما المعتبرون إذ يفتكرون أنهم حكماء صاروا جهلاء ، وبينما يقول أنهم مبصرون صاروا عميان وخطيتهم باقية . انفتح الملكوت للضعفاء وللمزدرى وغير الموجود ، اختار فقراء العالم ليخزى غنى الأغنياء المتكلين على غناهم الزائل .

كل وطاء يرتفع ، ما أعظم جودك يا ربنا يسوع المسيح رافع المتواضعين ومقيم المسكين من التراب ، رافع البائس من المزبلة ، جاعل العاقر ساكنة فى بيت أم أولاد فرحة . أما كل جبل وأكمة ينخفض ، فمن يسلك بالكبرياء هو قادر على أن يذله كما هو مكتوب فى سفر دانيال .

يقاوم الله المستكبرين أما المتواضعين فيعطيهم نعمة ...

فيصير المعوج مستقيماً ، والعراقيب سهلاً ..

٥ - فيُعلن مجد الرب ويراه كل بشر جميعًا لأن فم الرب تكلم .

هذا هو المحور الرئيسي الذى حوله تجتمع كل نبوات هذا الجزء . إن هذه الآية تعتبر حجر الأساس بين باقي الآيات . فإعلان مجد الرب يكون واضحاً ، لا لأمةٍ وشعب خاص ، بل لكل البشر .

هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد ...

هكذا أيضاً أرسل الرب تلاميذه قائلاً **اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها** ، مر ١٦ . فخرجوا وكرزوا في كل مكان والرب يعمل معهم بالآيات التابعة . فإعلان مجد الرب بيسوع المسيح . شرحه القديس بولس الرسول هكذا قائلاً : **أن الله الذى قال أن يشرق نور من ظلمة هو الذى أشرق فى قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله فى وجه يسوع المسيح** . (٢ كو ٤ : ٦)

فمنذ اللحظة التى دخل فيها البكر إلى العالم متخذاً جسداً من العذراء وصائراً فى شبه الناس . فى تلك اللحظات أعلن مجد الله بطريقة فائقة لم يعرفها العالم من قبل حين سبحت الملائكة تسبحتها الخالدة « **المجد لله فى الأعالى** ... » .

وإن كان هذا المجد مخفى فى ثنايا التجسد وشكل العبد ولكنه مدرك معلن ببهاء عجيب « **وضع قليلاً عن الملائكة ... بمجد وكرامة كللته** » . فالذى وضع عن الملائكة قليلاً نراه مكللاً بالمجد والكرامة من اجل الم الموت .. أى مجد الصليب ، مجد البذل الإرادى ومجد القيامة من الأموات . هكذا صار مجد الرب معلناً ظاهراً لكل بشر .. من يوم ميلاده العجيب إلى يوم صلبه وقيامته ، مجداً محسوساً وظاهراً يراه كل بشر جميعاً .

عدد ٦ - ٨ :

٦- صوتُ قائلٍ نادِ . فقال بماذا أنادي . كل جسدٍ عشبٌ وكلُّ جماله كزهر الحقل .

٧- يبس العشب ذبل الزهر لأن نفخة الرب هبّت عليه. حقاً الشعب عشبٌ . يبس العشب ذبل الزهر أما كلمة إلهنا فتثبت إلى الأبد .

فى ضوء إعلان مجد المسيح بتجسده ، أى ضوء إعلان كلمة اللّه ، ترى الحقائق مجردة بوضوح كانه اكتشاف ، إذ أنه فى غياب نور الكلمة يكون الظلام ، وحيث الظلام لا توجد رؤية ولا حق .

وهكذا يجئ هذا الإعلان والكشف كمن ينادى بصوتٍ عالٍ ، إذ أن المسيح المبارك هو الحق ذاته وجاء ليشهد

للحق، ويقول الحق : « الحقَّ الحقَّ أقول لكم .. » فهذا الاكتشاف وإلقاء ضوء الحق جاء بالمناداة أي بالكرازة أيضاً بيسوع المسيح.. وجوهر المناداة هو سرعة زوال الحياة حسب الجسد .

فإن أشرقت الشمس خبت وخفتت الأنوار الضعيفة .

فإن أُعلن حب المسيح الفادي ، تلاشت محبة الجسد .

وإن أشرق مجد الروح في المسيح ، زال مجد الجسد .

وإن بزغ نور الحياة بحسب الروح ، ذبلت الحياة بحسب الجسد .

كل انسان كعشب .. وكل جماله كزهر الحقل .. ييبس العشب ذبل الزهر ، يا ليت بصيرتنا تتركز حول هذه الحقيقة لئلا نتعثر .

ماذا يُحسب الانسان بسبب الجسد ؟

كعشب الحقل يزول كما يقول يعقوب الرسول : « الشمس أشرقت بالحر » .. مجرد إشراق الشمس (المسيح) يجعله يذبل وزهره يسقط ، إن عشتم حسب الجسد فستموتون ولكن إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون ، من يزرع لجسده فمن الجسد يحصد فساداً .

لقد انحصر الانسان في الجسد قبل المسيح .. فصار

الجسد هو كل ماله .. ولكن شكراً لله إذ ناموس روح الحياة فى المسيح قد أنقذنا من الحياة حسب الجسد ووطأة موت الجسد وزواله .

وبينما يوضح زوال الجسد ومجده ، يعلن ثبات الكلمة إلى الأبد .

فإلى أى الفريقين تنحاز ؟

من انحاز نحو الجسد والحياة حسب الجسد ، ومجد الجسد .. سيفنى بفناء الجسد ، أما من ينحاز للكلمة ويقبلها ويتحد بها فسيحيا بها إلى الأبد ، وهى ستُقيمه فى اليوم الأخير .

عدد ٩ – ١١':

٩– على جبل عالٍ اصعدى يا مبشرة صهيون . ارفعى صوتك بقوة يا مبشرة أورشليم . ارفعى لا تخافى قولى لمدن يهوذا هوذا إلهك .

١٠– هوذا السيد الرب بقوة يأتى وذراعه تحكم له . هوذا أجرته معه وعملته قدامه .

١١– كراعٍ يرعى قطيعه ، بذراعه يجمع الحملان وفى حضنه يحملها ويقود المرضعات .

إن هذا الاصحاح بجملته يتحدث بإعلان عن بداية زمن

الخلاص ، وتجسد الكلمة ودخول المسيح النور الحقيقى إلى العالم ، فهو عبارة عن بشارة مفرحة . إنجيل خلاص ، لذا جاءت العبارات فيه تحمل هذه المعانى الإنجيلية .

فمن أعلى الجبال – حيث يأتى العون كقول المزمور – **صارت البشارة لمدن يهونا ... لأورشليم وما حولها ...**

فمن لحظات الميلاد حيث بُشرى الخلاص من أعلى الأعالى وبُشّر الناس بالمسرة والسلام على الأرض .

إلى جبل التجربة حيث أعلن من عليه انكسار الشيطان إذ انتهره الرب « اذهب عنى .. فاندحر مكسوراً ذليلاً .

إلى جبل العظة حيث صارت البشارة والطوبى للمساكين بالروح وللحزانى بالعزاء .

إلى جبل التجلى حيث المجد العظيم الأسنى وصوت شهادة الآب أن هذا هو ابنى الحبيب .

إلى جبل الزيتون حيث عصير الكرمة وبشرى الخلاص حيث خدم الرب خلاصنا جاثياً وعرقه يتصبب كقطرات الدم .

إلى جبل الجلجثة حيث محا الصك الذى كان علينا

الذى كان ضداً لنا .. وحيث ظفر بالعدو أشهره جهاراً وسحق الشيطان .

إلى جبل الصعود حيث البركة والارتفاع والبُشرى بالمجئ الثانى . كمال المجد .

فما أحلى جبالك يا ربنا ، صعدت إليها مبشرة صهيون وسمع من فوقها أصوات الخلاص تفرح القلب وتمسح الدموع . وما أعذب أصوات رسلك المبشرين بالخيرات المنادين بالسلام ، رفعوا أصواتهم بلا خوف فقد كسر صليبك شوكة الموت وبددت قيامتك الخوف منه ، فلم تعد له قدرة على الاقتراب من خائفيك .

فماذا حملت أصوات المبشرين فى هذه المرة ، لم تحمل كلاماً .. بل قدمت شخص المخلص « **هوذا الهك** » .

فالكرازة فى أصلها تقدم المسيح المخلص للعالم ، والنبوة هنا تقدمه آتياً بقوة مشمراً عن ذراعه للخلاص ، يمينه التى صنعت القوة فى القديم وذراعه التى شقت البحر أمام الشعب ... هى هى .

ولكن فى هذه المرة يأتى ليعوّض الذين كانوا يزنون فضتهم لغير شبع ، ويشتغلون فى سخرة الجسد الترابى (الطين) بغير أجرة يأتى ليخلص وينقذ ويدفع

أجرة للعاملين معه . يكفى أن نتأمل كلام المخلص فى مثل أصحاب الساعة الحادية عشر ، حينما دفع ديناراً ديناراً للمساكين الذين أتوا آخر النهار .. وهو يقول « **أما يحق لى أن أفعل هذا بمالى** » .. لقد جاء وأجرته معه يكافئ كل واحد بحسب تعبه ، ولكن بسخاء إلهى عجيب .

ثم يعود النبى فيمجد ذراع الرب القوية فيراها ذراع راعٍ حنون تربت وتداوى ، تضمد وتشفق ، تضم وتتحنن . فذراعه تجمع الحملان ... أى صغار الغنم ، النفوس الضعيفة ، والمبتدئة والمولودة حديثاً .. ذراعه القوية تحتويها... تحميها وتشبعها دفئاً وحباً فى حضنه يحملها.

ايه أيها الراعى الحنون الذى بذلت نفسك عن الخراف... حوطنى بذراعك واجعل شمالك تحت رأسى ويمينك تعانقنى !

يلذ للنفس أن تراجع كلمات الراعى الصالح عن ذاته المملوءة حنواً كما سجلها تلميذه الحبيب القديس يوحنا الإنجيلى فى بشارته (يو١٠) .

بقى أن نتأمل الراعى الحنون (يقود المرضعات) . المرضعات فى قطيع الكنيسة هم الرسل الأطهار وكل من تعب فى الكلمة والتعليم ، لأن القديس بولس يقول « **هكذا كنا حانين فى وسطكم كما تربى المرضعة أولادها** » ...

ومرة أخرى يقول « **سقيتكم لبناً لا طعامًا** » .. والقديس بطرس يقول « **كأطفال مولودين الآن اشتهوا اللبن العقلى لتنموا به للخلاص** »

هؤلاء هم الذين يعطون اللبن العقلى العديم الغش مقدمين نقاوة فى التعليم مفصلين كلمة الحق باستقامة : يتعبون ويبذلون ينفقون ويُنفقون فى آنٍ واحد .. هؤلاء يقودهم الرب ... هم يسيرون خلفه يتبعون خطواته ، هو يقودهم فى مراعٍ خضر ، يقتادهم إلى ينابيع الماء الحى ويمسح كل دمعة من عيونهم كما يقول الرائى .

١٢ – « من كال بكفه المياه وقاس السموات بالشبر . وكال بالكيل تراب الأرض ووزن الجبال بالقبان والآكام بالميزان .

١٣ – من قاس روح الرب ومن مشيره يعلمه ؟

١٤ – من استشاره فأفهمه وعلمه فى طريق الحق . وعلمه معرفة وعرفه سبيل الفهم ؟

١٥ – هوذا الأمم كنقطة من دلو وكغبار الميزان تحسب . هوذا الجزائر يرفعها كدقة .

١٦ – ولبنان ليس كافياً للإيقاد وحيواته ليس كافياً لمحرقة .

١٧ – كل الأمم كلا شئ قدامه . من العدم والباطل تحسب عنده » .

التأمل فى قوة اللّه غير المحدودة أمر لا يعبّر عنه ، فإن قدرته السرمدية ولاهوته مدركة بالمصنوعات .. ولكن عندما يغيب هذا عن ذهن الانسان ، تتعظم ذات الانسان ويتأله ، ويفتخر بحكمته وقدرته وأعمال يديه !!

وهنا يتدخل الوحى فيعيد الانسان إلى جادة الصواب ، فيُظهر أمام الانسان الجاهل قدرة اللّه وأعماله الفائقة ، حقاً قال المزمور « **قال الجاهل فى قلبه ليس إله** » .

على هذا النحو نرى كيف يتوسط الوحى الإلهى بهذه الآيات مشيراً إلى الاقتدار الفائق متسائلاً :

من كال بكفه المياه ؟ ومن قاس السموات بالشبر ؟

وكال بالكيل تراب الأرض ؟

من وزن الجبال بالقبان والآكام بالميزان ؟

أما المياه ، السموات والجبال والآكام فهذه التى يقف الانسان أمامها صغيراً مهما كبر ، ضعيفاً مهما بلغ من القوة . وهى جميعاً تحدث بمجد اللّه وتخبر بعمل يديه يوماً بعد يوم وليلاً إلى ليل .

من جهة أخرى يلتفت الانسان ويتفكر فى الحكمة الإلهية التى صنعت بها الموجودات لأنها كلها بحكمة فائقة صنعت فهى تسير وفق ما صنعت له فى مسارها المرسوم لا تتعداه .

أين حكمة الانسان من هذه الحكمة الإلهية اللانهائية ؟

أين الحكيم اين الكاتب أين مباحث هذا الدهر ؟ كما يقول الرسول . إنما يفيد الانسان أن يتأمل حكمة اللّه فى المصنوعات فيدرك مقدار جهله وعدم معرفته ، فيطلب فيأخذ حكمة .. من تعوزه الحكمة يطلب من اللّه ... هى إذن دعوة للاتضاع .. وعدم الاتكال على الحكمة البشرية ولا على ذراع الناس .

+ ولئلا يفتخر الانسان بالكثرة ويعتبر أنه ملَك زمام القوة فيتعظم ، فلينظر بالعين الفاحصة ويسمع بأذنى الروح كلام الوحى القائل « **هوذا الأمم كنقطة من دلو وكغبار الميزان تحسب** » .

أليس هذا ما يراه كل من يتأمل تاريخ البشر .. كم من أمم وشعوب بادت ، وانتهت ؟ وعبرت كالخيال وكانها لم تكن .

فالخلاصة تكون أن يرجع الانسان إلى اللّه فيجد فيه الكل ، مصدر كل شئ وفيه يقوم الكل ، وبغيره ليس شئ له كيان .

عدد ١٨ – ٢٠ :

« **فبمن تشبهون اللّه وأى شبه تعادلون به ؟ الصنم يسبكه الصانع والصائغ يغشيه بذهب ويصوغ سلاسل فضة . الفقير عن التقدمة ينتخب خشباً لا يسوس يطلب**

له صانعاً ماهراً لينصب صنماً لا يتزعزع » .

حقاً قال المرنم ليس لك شبيه فى الآلهة ، وليس من يصنع كأعماله ، لأن كل آلهة الأمم شياطين ، وكذلك أيضاً رنم بنو إسرائيل عند خروجهم الخلاصى من البحر الأحمر قائلين « **من يشبهك فى الآلهة يارب من مثلك ؟** » .

إذ رأوا يمينه المعتزة بالقوة الصانعة الخلاص .

على ذلك لتسقط الآلهة صنعة أيدى الناس ، لأن كل واحد من البشر يؤله إلهاً أو شيئاً هو صنعة يديه لكى يرضى ذاته ، أما ربنا فهو إله الآلهة ورب الأرباب وملك الملوك ، ليس له مثل ولا شبيه .

فإن كان من العار على القدماء أنهم ينصبون لأنفسهم آلهة خشب وحجارة وتماثيل منحوتة مغشاة بذهب ومصنوعات الأيادى ، فبالأكثر يصير عاراً لكل من يعرف معبوداً آخر يُخضع له إرادته ويصير صنماً يتربع على قلبه مثل عادةٍ أو شهوةٍ أو محبة مال أو .. إلخ .

ويظل سؤال الوحى قائماً فبمن تشبهون الله ؟

عدد ٢١ – ٢٤ :

« ألا تعلمون ألا تسمعون ؟ ألم تخبروا من البداءة ؟ الم تفهموا أساسات الأرض .

الجالس على كرة الأرض وسكانها كالجندب الذى

ينشر السماوات كسرداق ويبسطها كخيمة للسكن .

الذي يجعل العظماء لا شيئاً ويُصيِّر قضاة الأرض كالباطل .

لم يُغرسوا بل لم يزرعوا ولم يتأصل فى الأرض ساقهم . فنفخ أيضاً عليهم فجفوا والعاصف كالعصف يحملهم » .

العلة إذاً هى نقص فى المعرفة والعلم بتدابير الله . « ألا تعلمون » وهذا يتأتّى نتيجة لرفض الكلمة الإلهية وعدم التصديق « ألم تخبروا من البداءة » ألعلهم لم يسمعوا أو لم تبلغهم كلمة الرب ، حاشا بل إلى كل الأرض خرج منطقهم وإلى اقصاء المسكونة بلغت أصواتهم ، وها السموات تحدث بمجده والفلك يخبر بعمل يديه ، معرفة اللّه ظاهرة ومجد اللّه وقدرته مدركة بالمصنوعات ... ولكن إذ يرفض الانسان معرفة اللّه يظلم ذهنه بغباء ، « وكما لم يستحسنوا أن يبقوا اللّه فى معرفتهم أسلمهم اللّه إلى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق » رو ١ : ٢٨ .

لعل هذه هى المرة الأولى التى يعلن فيها الوحى أن الأرض كروية ، وذلك قبل الكشف العلمى بما يزيد عن ألفىْ سنة .

السماوات التى هى العلو الأعلى بالنسبة للإنسان ،

هى كرسى الله والأرض موطئ قدميه ، أما عظمة العظماء الأرضيين وقضاتهم فهى عظمة باطلة وقبض الريح ، وجدير بالانسان أن لا ينخدع بهذه العظمة الكاذبة التى مثل عشب السطوح الذى ييبس قبل أن يقطع الذى لم يملأ الحاصد منه يده ...

هكذا يكون الأشرار كما يصفهم المزمور « ليس كذلك المنافقون ليس كذلك لكنهم كالهباء الذى تذريه الريح من وجه الأرض .. » مثل عصافة القش غاية فى الضعف والتفاهة لا أصل ولا جذر ولا ساق ولا ثبوت ولا ثمر .. ولا شئ .. فبمن تشبهوننى فأساويه يقول القدوس ؟

« المحصى كثرة الكواكب ولكافتها يعطى أسماء ، عظيم هو ربنا وعظيمة هى قوته ولا إحصاء لفهمه الرب يرفع الودعاء ويذل الأشرار إلى الأرض » (مز ١٤٧) .

إن كان عدد الكواكب هكذا من الكثرة بحيث أنه يستحيل على الانسان أن يعدّها حتى انه لما وعد الله إبراهيم بالبركة الأبدية التى فى النسل بيسوع المسيح ربنا قيل « ثم أخرجه إلى خارج وقال انظر إلى السماء وعد النجوم إن استطعت أن تعدها وقال هكذا يكون نسلك» (تك ١٥) .

فعلاً إن عدد النجوم يعجز الانسان عن حصره أو عده، فيتأمل الانسان عجزه وليتفكر فى عظمة القدير المحصى كثرة الكواكب إذ هو خالقها بل أن أسماءها ومساراتها مضبوطة بكلمته ، هو قال فكانت ، وهى كائنة بتلك الكلمة عينها ، ومتى انتهى زمانها الذى يعيّنه هو وحده فإن النجوم تتساقط من السماء وقوات السماوات تتزعزع وهكذا يتمجد إسم ربنا ويتبارك فى كل خليقته ، وليكن منظر الثلاثة فتية القديسين وتسبحتهم فى وسط الآتون دافع لنا أن ندعو الخليقة كلها لتسبحته ، قائلين سبحيه أيتها الشمس والقمر ، سبحيه أيتها النجوم والكواكب ..

حقاً أنه لا شبيه لك فى الآلهة ولا من يصنع أعمالك ، لأن أعمالك كلها بحكمة صنعت وليتبارك ويتمجد اسم عظمته ، لأنك مسبح وممجد أبداً وإلى دهر الدهور .

عدد ٢٧ - ٣١ :

لماذا تقول يا يعقوب وتتكلم يا إسرائيل قد اختفت طريقى عن الرب وفات حقى إلهى .

أما عرفت أم لم تسمع . إله الدهر الرب خالق أطراف الأرض لا يكل ولا يعيا ، ليس عن فهمه فحص .

يعطى المعيى قدرة ولعديم القوة يكثر شدة .

الغلمان يعيون ويتعبون والفتيان يتعثرون تعثراً . أما منتظروا الرب فيجددون قوة . يرفعون أجنحة كالنسور. يركضون ولا يتعبون يمشون ولا يعيون .

أما إذا تشبه إسرائيل بالأمم الوثنيين وسرت عدوى عدم معرفة اللّه إليه فإن أفكار الأمم تصير فيه وزيغانهم وجهلهم يأتى عليه ، فيقول : « قد اختفت طريقى عن الرب وفات حقى إلهى » ، فيشعر بالتخلى إذ لا يجد معونة ، أو يدركه اليأس من كثرة الجهل كما يقول المرنم **« قال الجاهل فى قلبه ليس إله »** .

ولكن يعود الرب الحنون فيذكر إسرائيل فتاه ونسل إبراهيم مختاره وخليله فيقول له محاجاً ومعاتباً **« أما عرفت أم لم تسمع »** .

وهنا نقول أنه إذا تشعبت الطرق بالانسان وعزّت الرؤيا وانطمست البصيرة عن معرفة طريق الحق ، أو إذا سقط الانسان فى ضلالة الفكر أو إظلام العقل فالسبيل هو الرجوع إلى المسالك القديمة ، إلى آثار الغنم المختارة التى سلكت فى خوف اللّه . **« أما عرفتَ »** ؟

لقد قيل هلك شعبى لعدم المعرفة ، اسأل أباك فيعلمك وعشيرتك فيعرفونك ارجع للمكتوب من اجل الخلاص

والحياة ، فتشوا الكتب ، أو كما قال الرب لجماعة الصدوقيين ... « تضلون إذ لا تعرفون الكتب » فالمعرفة تكمن فى الأسفار الموحى بها من اللّه ، فى الجهل يسلك الانسان كما فى الظلمة ولكن الكتب النبوية كما يقول القديس بطرس الرسول « **إذا تأملتم إليها كما إلى سراج مضيء فى موضع مظلم** » إلى ان يطلع الصبح وتشرق شمس البر الذى هو المسيح ، فالرب يرجعهم « **إلى الشهادة وإلى الشريعة** » .. يرجعهم عن الارتداد لكى يستنيروا بضياء معرفة اللّه .. « سراج لرجلى كلامك ونور لسبيلى » .

أم لم تسمع ؟

لم تنقطع أن تكون للرب بقية فى كل جيل ، شاهدة لعمل اللّه متعلقة به بالإيمان سالكة فى وصاياه وأحكامه . هذا ما نسميه بالتقليد اى تسليم الحياة ، وهذا كائن قبل تدوين الأسفار سواء فى العهد القديم أو الجديد لأن الحياة كانت أولاً ثم ما هو مكتوب جاء تدويناً وتسجيلاً .

فالذى تعوزه معرفة اللّه فإن لم تسعفه معرفة ما هو مكتوب فليلتفت إلى شهادة الحياة فى القديسين والذين أرضوا الرب فى كل جيل هكذا يقول الرب لاسرائيل :

« **ألم تسمع** » ؟ .

ألم تسمع عن إبراهيم أبو الإيمان الذى قدم وحيده ؟ ألم تسمع طاعة إسحق الذبيح ، ألم تسمع عن يعقوب قديسى ألم تسمع عن صموئيل وداود وجدعون وشمشمون والأنبياء ، الذين بالإيمان عاشوا وعلى الرجاء رقدوا ؟

إن اللّه كان بالحقيقة ظاهراً فى حياتهم فكانوا علامات واضحة على الطريق .

أما ما أراد الرب تنبيه ذهن إسرائيل إليه ، فيتعرف ويعرف ويأخذه من اللّه ، فهو أنه إله الدهر خالق أطراف الأرض ، كما استعلن من البداية لإبراهيم « **أنا اللّه القدير** » ، لكى إذا ما تمسك بإله الدهر - **الإله الأبدى** - يستطيع أن يتخطى كل ما هو زمنى ، وإذا ما تعلق بالإله الخالق ، يستغنى به عن كل ما هو مخلوق .

ويا للنصيب الفاخر الذى إذا التفت إليه الانسان فإنه يفوز به إلى الأبد ! ، لا يكل ولا يعيا ليس عن فهمه فحص، يعطى المعيى قوة ولعديم القدرة يكثر شدة حقاً انه إله المعونة .

ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء ، من عرف فكر الرب أو من صار مشيره كما علت السماء عن الأرض علت أفكار اللّه عن أفكار الناس وطرقه عن طرقهم .

ولكن أن يعلن اللّه عن ذاته قدرته الإلهية الفائقة انه لا

يكلّ ولا يعيا ، ذلك لكى يجد فيه الانسان السند والصخر والملجأ والحصن فيحتمى فيه .

وإذا ما أدرك الانسان ضعفه، إذ هو تراب ، يطلب أن يستمد من مصدر القوة عوناً فى حينه . هو يعطى المعيى قوة ولعديم القدرة يكثر شدة ، يقيم الساقطين ، يحل المربوطين يمين الرب تصنع القوة ، ولكن الرب لا يشبع شبعاناً ولا يغنى غنياً ؛ المكتفين ، الحكماء والأقوياء عند أنفسهم لا يأخذون شيئاً . أما جهلاء العالم ، والضعفاء والمزدرى وغير الموجود وفقراء هذا العالم فاختارهم أغنياء فى الإيمان وورثة الملكوت ، يقيم المسكين من التراب ويرفع البائس من المزبلة .

قوته فى الضعف تكمل ، فالمعيى وعديم القدرة ، هما ضيفا المسيح ، الأيادى المرتخية والركب المخلعة يشددها يقويها لكى لا يتعثر الأعرج بل بالحرى يبرأ .

+ « الغلمان يعيون ويتعبون والفتيان يتعثرون تعثراً ، أما منتظرو الرب فيجددون قوة » . قد تخور قوة العلماء والفتيان وتنفذ طاقتهم أما منتظرو الرب فيجددون قوة ، **« قوتى وتسبحتى هو الرب » .. « حينما أنا ضعيف حينئذ أنا قوى » .. « تكفيك نعمتى لأن قوتى فى الضعف تكمل » ... « تقوَى يا إبنة إيمانك شفاك إذهبى بسلام » .. « إن كان يخدم أحد فكأنه من قوة**

يمنحها الله » ... « فيما هو قد تألم مجربًا يقدر أن يعين المجربين » .

يا لها من قوة تلك النازلة من فوق « **رفعت عينى إلى الجبال من حيث يأتى عونى** » ، « لا بالقدرة ولا بالقوة ولكن بروحى قال رب الجنود » ، وطوبى للشعب الذى نصرته من عندك ، يسيرون من قوة إلى قوة ومن مجد إلى مجد.

« **يرفعون أجنحة كالنسور** » ، تلك الأذرع الأبدية تحملهم كما فى أيام القدم حين قيل حملتكم كما على أجنحة النسور حين ساروا فى القفر ويمين الرب رفعتهم وذراعه حمتهم .

« **يركضون ولا يتعبون يمشون ولا يعيون** » ، وهذه سمات أولاد الله فى عهد النعمة ، ركضوا فى طلب الحبيب وساروا فى طريق الصليب ، لم يكلوا ، لم يخوروا، لم يتعبوا ، بل حملوه إلى النهاية ، إلى الجلجثة ، إلى نصرة القيامة .

ركضوا فى فرح ، ليس كمن يلاكم الهواء كقول الرسول ، بل نحو جعالة دعوة الله العليا ، الذين يركضون فى ميدان العالم ، يتعبون من أجل مجد العالم الزائل ، أما أولاد الله فمن أجل إكليل لا يفنى وميراث لا يضمحل .

اشعياء ٤١

١ – انصتى إلىّ أيتها الجزائر ولتجدد القبائل قوة . ليقتربوا ثم يتكلموا . لنتقدم معاً إلى المحاكمة .

٢ – من أنهض من المشرق الذى يلاقيه النصر عند رجليه ؟ دفع أمامه أمماً وعلى ملوكٍ سلّطه جعلهم كالتراب بسيفه وكالقش المنذرى بقوسه .

٣ – طردهم مَرّ سالماً فى طريق لم يسلكه برجليه .

٤ – من فعل وصنع داعياً الأجيال من البدء ؟ أنا الرب الأول ومع الآخرين أنا هو .

الجزائر هى قطعة من اليابسة محاطة من كل جانب بالماء ، قطع من الأرض منعزلة فى وسط البحار ، هكذا صارت نفوس كثيرة غارقة فى بحار العالم منعزلة عمّن حولها من النفوس ، ربما يعبر ذلك عن الأنانية والانغلاق فى الذات البغيضة ، أو ربما يعبر عن العزلة والوحدة والقطعية . إذا تفتتت البشرية بسبب شر الخطايا انعزلت نفوس ، غارقة فى الشهوات ، وراحت بعيداً بعيداً لا تصلها كلمة من الله ولا نبوة ولا خبر ، أو قد لا تصلها مؤونة أو معونة ، فهى إذن تمثل حياة القفر الموحش أو المجاهل المخيفة . هكذا صارت حال نفوس ونفوس كثيرة ، فهل إلى الأبد تبقى بعيدة ؟ منعزلة ؟ منفصلة ؟ وهل قصرت ذراع

الرب عن أن تصل إليها أو كلمة الرب أن تبلغها ؟

حاشا ، ها صوت الروح يقول انصتى أيتها الجزائر ولتجدد القبائل قوة .. فلتفرح الجزائر إذ قد أدركتها بشرى الخلاص وإنجيل الفرح وصوت الرب وكلمة الكرازة إلى أقاصى الأرض تبلغ .

وإذ تنبأ إشعياء عن المسيا المخلص لهذه النفوس المنحصرة والمحاصرة بمياه العالم ، تأتى كلمات النبوة أيضاً مطابقة لواقع الحال الذى عاشه إسرائيل فى القديم أيام السبى بعد هذه النبوات حينما صارت نفوسهم باكية هناك على انهار بابل « **على انهار بابل جلسنا فبكينا على الصفصاف فى وسطها علقنا قيثاراتنا ، لأن هناك سألنا الذين سبونا أقوال التسبيح** .. » .

وإذ هم ينتظرون الخلاص ، نبه الرب روح كورش الفارسى وأنهضه وهكذا إذ عَمِلَ الخلاص صار رمزاً للمسيا ، لهذا ناداه الوحى قائلاً « **هكذا قال الرب لمسيحه لكورش** » .

فهو إذ يكلم نفوس المسبين ببشرى الخلاص ، تتسع الكلمات لتشمل كل المسبين بكل نوع فى كل مكان وزمان ، والخلاص لم ينحصر قط فى زمان أو فى عمل وقتى بل هو دائماً يمتد ليشمل الخلاص الحقيقى الذى

صنعه الرب بالصليب والحرية الحقيقية التى حررنا بها المسيح « **إن حرركم الابن صرتم بالحقيقة أحراراً** »

أما من جهة المخلص فمن ناحية الرمز انهض الرب كورش من المشرق ، وعن المسيا فقد ظهر نجمه فى المشرق ، وجاء مجوس من المشرق ، .. وصعد نحو المشرق ، ويجئ فى ظهوره الثانى المخوف من المشرق ، وها كنائسنا كلها تبنى متجهة نحو المشرق حيث يرفع المؤمنون فى كل جيل أبصارهم فى لهفة انتظار الرب راجين أن ينالوا حظوة الوجود معه كل حين .

أما من جهة النصر الوقتى الذى حققه كورش فقيل أنه يلاقيه النصر عند رجليه . أما عن مخلصنا ، فقد سحق الشيطان تحت أقدامنا ، وأعطانا سلطان أن ندوس الحيّات والعقارب وكل قوة العدو .

من جهة أسلحة كورش فهى سيف وقوس ، أما مخلصنا فقد سبى سبيه وخلص غنيمته لا بسيف ولا برمح مادى ، بل بسيف الروح الذى هو كلام اللّه ودرع البر وترس الإيمان.. كل أسلحته صنعها بدمه الذى سفك على الصليب ، وهذه الأسلحة قادرة باللّه على هدم كل حصون الشيطان .

وإذ يتكلم عن كورش أنه مرّ سالماً فى طريق لم يسلكه برجليه ، فمن مثل مخلصنا الذى مهد سبل الخلاص لشعبه وكنيسته ، إذ هو ذاته الطريق والحق والحياة .. وهو الباب الذى إن دخل به أحد يدخل ويخرج ويخلص ويجد المرعى .

أخيراً إذ ينبه الرب الجزائر لبشارة الخلاص ، يعلن ذاته كما فى سفر الرؤيا أنا الأول والآخر البداية والنهاية منه تبتدئ قصة الخلاص واليه تنتهى ، إذ ليس بأحد غيره الخلاص وليس اسم آخر تحت السماء أعطى بين الناس به ينبغى أن نخلص إلا اسم يسوع .

٥- نظرت الجزائر فخافت . أطراف الأرض ارتعدت . اقتربت وجاءت .

٦- كل واحد يساعد صاحبه ويقول لأخيه تشدد .

٧- فشدد النجار الصائغ . الصاقل بالمطرقة الضارب على السندان قائلاً عن الإلحام هو جيد . فمكنه بمسامير حتى لا يتقلقل .

كل آلهه الأمم شياطين كما قال المرنم ، صنعة أيدى الناس مثلها يكون صانعوها ، اتكال الأمم ورجاؤهم يخيب لأنه اتكال كاذب ورجاء بالعدم . فليكن هذا معلوماً لدى

إسرائيل ، الذى هو نصيب اللّه وميراثه ، وقد جعل العلى متكله واستند على صخر الدهور .

فهل يصير شعب اللّه كباقى الشعوب ؟ وهل يتساوى الذى يتكل على اللّه بمن يتكل على الأوثان ؟

هذا ما يريد الوحى الإلهى أن ينير به ذهن إسرائيل الروحى قائلاً :

عدد ٨ – ١٠ :

« أما أنت يا إسرائيل عبدى يا يعقوب الذى اخترته نسل إبراهيم خليلى الذى أمسكته من أطراف الأرض ومن اقطارها دعوته وقلت لك أنت عبدى اخترتك ولم أرفضك . لا تخف لأنى معك لا تتلفت لأنى إلهك قد أيّدتك وأعنتك وعضدتك بيمين برّى » .

بهذه الكلمات الرقيقة والمواعيد الجزيلة يستميل الرب قلب شعبه ويفتح عينيه وأذنيه ، كى لا يشاكل هذا الدهر لا بالشكل ولا بالفكر . طوبى للأمة التى الرب إلهها والشعب الذى اقتناه لنفسه لقد ميزه . يكفى أن تتأمل بتأنٍ هذه النعم التى أوردها الوحى :

أما أنت يا إسرائيل عبدى ..

فهو عبد الرب ، عابد للإله القدير ، لا يتعبد لغيره ولا

يستعبد لأحد ، فالعبودية للرب حرية وتحرر وانتساب وشرف ما بعده شرف .

يعقوب الذى اخترته :

فهو مختار اللّه ، بلا فضل منه ولا ميزة فيه تميزه عن الباقين ، بل قيل اختار اللّه الضعفاء ، والجهلاء والمزدرى وغير الموجود ليخزى الموجود لكى لا يفتخر الانسان بشئ ، بل يفتخر بالرب ، فإن كان مختاراً ، أفلا يشكر اللّه من أجل نعمة الأختيار !؟

نسل إبراهيم خليلى :

فهو نسل البركة ، الموعود به ، انى بالبركة أباركك وبالكثرة أكثر نسلك ، فكثرته من اللّه ووعد الرب أن يكون النسل كنجوم السماء كثرة وارتفاعاً ، يكمل فى المسيح الذى فيه يتبارك الكل لأن فيه وبه وله كل الأشياء وليس هذا فقط بل أنهم نسل الحبيب والخليل ، الذى دعى خليل اللّه !! نسل أبو الإيمان .

وكأن ربنا يعود بالانسان إلى أصوله يذكره بما له من ميراث وغنى لا يستقصى فلا وجه للشبه والمقارنة بين أولاد اللّه وأولاد العالم ، فلا تغر من الأشرار ولا تحسد عمال الأثم ..

« قلت لك أنت عبدى اخترتك ولم ارفضك . لا تخف لأنى معك . لا تتلفت لأنى إلهك . قد ايدتك واعنتك وعضدتك بيمين برى » . مواعيد اللّه هى بلا ندامة ، السماء والأرض تزولان وكلامه ومواعيده لا تزول فالمحبة عند ربنا لا تعرف الرجوع إلى خلف ، وهكذا كل أعمال اللّه ، الانسان يحب ثم يتحول حبه إلى بغضه إن تغيرت الظروف ، أما ربنا فليس عنده تغير ولا شبه ظل يدور .. فهو اختارنا ميراثاً له ودعانا بنعمته لكى نكون قديسين ولا لوم قدامه فى المحبة ، وعيننا للتبنى بيسوع المسيح لمجده ، فاذ أحبنا أحبنا إلى المنتهى ، وإذ اختارنا لم يرفضنا . وهذا يعزى النفس ويوطد رجاءها فى المسيح .

ماذا بعد :

لا تخف لأنى معك ، إن المسيح الظاهر فى الجسد اسمه عمانوئيل الذى تفسيره اللّه معنا ، لقد صار حالاً بيننا ، رأيناه بعيوننا ، شاهدناه ولمسته أيدينا .

فلماذا الخوف ؟ إن سرت فى وادى ظل الموت لا اخاف شراً لأنك أنت معى هذا هو الإيمان بالمسيح وحب المسيح الذى يطرح الخوف إلى خارج وهذه هى معيّة المسيح والحياة فى حضرته بعيداً بعيداً عن الخوف .

لا تتلفت لأنى إلهك ، لا إلى اليمين ولا إلى اليسار ، بل

أنتم الذين رسم أمام عيونكم يسوع المسيح واياه مصلوباً . ركز نظرك فيه ، لأنه كما رفع موسى الحية فى البرية هكذا رُفع المسيح لكى لا يهلك كل من ينظر إليه ويؤمن به.. جميع الذين نظروه استناروا ووجوههم لم تخجل .

قد أيدتك وأعنتك وعضدتك بيمين برى .

ذراع الرب ويمينه هى كناية عن المسيح حكمة الآب، وقد قيل أن الرب يشمر عن ذراعه ، أى يقوم للخلاص ويعلن ذراع قوته فترى ، « **الله ظهر فى الجسد** » .

يمين الرب صنعت قوة.. يمين الرب رفعتنى . فيه كانت الحياة . أليس هو الذى يعطى المعين قوة .

معونتى من عند الرب .. عاضدنا هو إله يعقوب .

فإن حصلت النفس على التأييد والمعونة والتعضيد فى المسيح ، فمن يقوى عليها أو يهزمها ؟ مستحيل . بل تتقوى النفس تقول « **استطيع كل شئ فى المسيح الذى يقوينى** » وهو الذى يقودها فى موكب نصرته فتشكر الله . « **شكراً لله الذى يقودنا فى موكب نصرته فى المسيح كل حين** » ويظهر بنا رائحة مجده فى كل مكان .

لذلك أكمل الوحى حديثه من جهة غلبة الأعداء المسيح قائلاً :

عدد ١١ - ١٣ :

« إنه سيخزى ويخجل المغتاظين عليك يكون كلا شئ مخاصموك ويبيدون .. تفتش على منازعيك ولا تجدهم يكون محاربوك كلا شئ وكالعدم . لأنى أنا الرب إلهك الممسك بيمينك القائل لك لا تخف أنا أعينك » .

إله السلام يسحق الشيطان تحت أرجلكم سريعاً ، يقوم اللّه ويتبدد جميع أعدائه ويهرب من قدام وجهه كل مبغضى اسمه القدوس .

هكذا يكون الشيطان فى خزى أمام أولاد اللّه المتمسكين بالرب المتكلين على ذراع قوته ، وهكذا تصلى الكنيسة دائماً « **أعداء بيعتك المقدسة ، مثل كل زمان والآن أذلهم حل تعاظمهم ، عرفهم ضعفهم سريعاً ، ابطل حسدهم وسعايتهم وشرهم ونميمتهم .. اجعلهم يارب كلا شئ** » .

وطالما صار الرب بكراً بين إخوة كثيرين ، وصار فى الهيئة كإنسان ، فإنه يصير شريكاً لنا فى مشوار الحياة ممسكاً بيميننا ، خطوة خطوة . إذ قد تشارك الأولاد فى اللحم والدم اشترك هو أيضاً فيهما لكى يبيد ذلك الذى له سلطان الموت ويعتق الذين كانوا كل زمانهم - بسبب الخوف - تحت العبودية .

فشكراً للّه على نعمته التى لا يعبر عنها .

عدد ١٤ - ١٦ :

١٤- لا تخف يا دودة يعقوب يا شرذمة إسرائيل أنا أعينك يقول الرب وفاديك قدوس إسرائيل .

١٥- هأنذا قد جعلتك نورجاً محدداً ذا أسنان . تدرس الجبال وتسحقها وتجعل الآكام كالعصافة .

١٦- تذريها فالريح تحملها والعاصف تبددها وأنت تبتهج بالرب . بقدوس إسرائيل تفتخر .

ماذا يحسب الانسان بذاته مجرداً من معونة اللّه وقوته ؟ لا شئ ، عدم بل إن العدم يصير أفضل منه حالاً .

هنا يحلو للنفس أن تضع أمامها هذه المضادة وتتأملها فتتعزى إيما عزاء .

إن الانسان بذاته هو العدم ولكن باللّه يستطيع كل شئ.. فإسرائيل فى وسط الشعوب يعتبر شعب صغير ، ومن جهه القوة وعتاد الحرب فهو الأضعف ، ومن جهة العدد فلا يعتد به فهو كشررزمة لا تحسب . لذلك يناديه الوحى دودة يعقوب ، وشررزمة إسرائيل .

ولكن ماذا إذا انحاز إسرائيل للرب ، وإذا كان الرب عضده ومتكله ؟ عندئذ تختلف الموازين وتنقلب رأساً على

عقب ، ولك فى التاريخ المقدس دروس وعبر .

فداود – دودة – الصغير ماذا يحسب أمام جليات ؟ ولكن باسم رب الجنود يصير عظيماً ومنتصراً .

وجدعون ، رغيف الشعير الصغير ماذا يصنع لو تدحرج إلى محلة المديانيين ؟ إنه باللّه يصير رعباً للمديانين .

وماذا عن إيليا أمام آخاب ، ويوسف أمام امرأة فوطيفار، وماذا عن القطيع الصغير المرسل كحملان فى وسط ذئاب ، ... وقس على ذلك .

ولكن هذه الإمكانيات الضعيفة إذا وضعت فى يدى الرب القادر على كل شئ فإنها تكون أشبه بالخمس خبزات والسمكتين فى يد المسيح ، يشبع بها ويغنى ويملأ الكل فيضاً وكفايةً بل يفضل عنها اثنتا عشرة قفة مملوءة هذا هو عمل النعمة إذا انحاز إليها واتكل عليها .

ولكن على النفس أن تدرك أنها لا شئ وأن فضل القوة للّه لا منا وأنا القائل « أنا أعينك » قدوس إسرائيل يستطيع كل شئ ولا يعسر عليه أمر . وهذه الدودة والشرزمة جعلها الرب نورجاً محدداً ذا أسنان تدرس جبال الكبرياء وارتفاع الوثنية وتسحق قوى الشر ورأس الحية تطأه

بالمسيح المخلص . وما يقال عن الأشرار فى المزمور أنهم كالعصافة التى تحملها الريح ، يتحقق أمام ذاك الذى فى ناموس الرب مسرته وفى ناموسه يلهج نهاراً وليلاً .

خلاصة القول إن إسرائيل إذ يحتمى فى اللّه وينحاز له ويجعل الرب متّكله وقوته ، رغم أنه صغير وفقير ، فإن الشعوب لا تحسب أمامه ويدوس جبال ويسحق آكام . ما أجمل التأمل فى كلمات المزمور « **بك يا إلهى اقتحمت جيشاً بك يا إلهى تسورت أسواراً** » .

وما أجمل أن يفتخر إسرائيل بمخلصه وفاديه الذى صارت قوته فى الضعف تكمل إذ اختار الضعفاء ليخزى بهم الأقوياء .

هنا النصرة تتحول إلى فرح باللّه وافتخار بقدوس إسرائيل ، لا اتكال بعد على الذات بل من يفتخر فليفتخر بالرب كقول الرسول بولس .

عدد ١٧ – ٢٠ :

١٧– البائسون والمساكين طالبون ماء ولا يوجد . لسانهم من العطش قد يبس . أنا الرب استجيب لهم أنا إله إسرائيل لا أتركهم .

١٨–أفتح على الهضاب أنهاراً وفى وسط البقاع ينابيع.

أجعل القفر أجمة ماء والأرض اليابسة مفاجر مياه .

١٩ - أجعل فى البرية الأرز والسنط والآس وشجرة الزيت. أضع فى البادية السرو والسنديان والشربين معاً.

٢٠ - لكى ينظروا ويعرفوا وينتبهوا ويتأملوا معاً أن يد الرب فعلت هذا وقدوس إسرائيل أبدعه .

+ الماء هو الرمز التقليدى للروح القدس . وقد بلغ العطش للروح درجته القصوى ... وهكذا عبّر الوحى الإلهى عن شوق الأبرار وعطش الصديقين إلى الارتواء وإلى الملء بالروح . هؤلاء الأبرار هم الذين يدعوهم الوحى « **البائسون والمساكين** » وهم الذين طوبهم الرب بقوله «طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات ، طوبى للحزانى لأنهم يتعزون » . فجماعة الأبرار والصديقين كانوا يتعطشون إلى الروح والحياة فى العهد القديم عهد الناموس والشرائع ولكن أنّى لهم إن ينالوا ... لأن الروح لم يكن أُعطى لأن يسوع لم يكن مجِّد بعد .

على أن المتأمل فى كلام النبوة يفهم إن الروح انسكب من العلاء حناناً لا يوصف كسكب ماء الحياة على العطشى استجابة من مراحم الآب وفيض أحشاء رأفته نحونا ، « **أنا الرب استجبت لهم** » . ومن أجمل التدابير أن الكنيسة فيما هى ترتب مزامير الصلاة فى ساعة حلول

الروح القدس (الساعة الثالثة) ، وكلها مزامير تتنبأ عن عمل الروح القدس ومواهبه ، بدأتها بالمزمور الذى مطلعه « **يستجيب لك الرب فى يوم شدتك** ... » أى ينستجيب لك بالروح القدس الذى تسأله ، لأنه يعطى الروح القدس للذين يسألونه .

هكذا يصير عطش الأبرار ولسانهم الذى يبس تلهفاً على نوال الروح القدس وهو روح الحياة « **كالماء لحياة الجسد** » ... هكذا يصير عطشهم سبباً فى استدرار المراحم وحافزاً على سكب الروح ... لأنه حيثما وجدت هذه النفوس المتضعة فإنها تصير كآنية مستعدة لملئ الروح القدس ... وإذا عدمت الكنيسة فى جيل من الأجيال رجال الاتضاع والمسكنة فإنها بالتالى تصير فى جفاف من جهة الروح !!

+أفتح على الهضاب أنهاراً وفى وسط البقاع ينابيع . أجعل القفر أجمة ماء والأرض اليابسة مفاجر مياه . ولعلنا هنا ننتبه إلى فعل الروح القدس إنه يتفجّر بقوة ويصير كأنهار ماء ...

فإن كان الروح القدس هو الوديع الهادى ، وهو ماء الراحة ، إلا أن فعله فى النفوس يكون قوياً إذ ينكسب بفيض غزير ويملأ النفوس ملئاً كما قال يسوع لجماعة

اليهود « **الذى هو عطشان فليقبل إلىّ ويشرب** » وقوله للسامرية « **الماء الذى أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية** » . ولكن ليتأمل القارئ مدى التغير الكلى الذى يصير فى القفر إذا انفجرت فيه ينابيع الروح ، فلا وجه للشبه ولا للمقارنة بين الماضى والحاضر أنه انتقال من الموت إلى الحياة ، فبعد إن كان القفر مجدباً ميتاً يصير جنة وبستاناً وشتّان بين الاثنين . وها يوم حلول الروح القدس يشهد لعمل النعمة وقوة التغيير والمواهب وثمار الروح منذ ذلك اليوم لا تخطئها العين .

+ أجعل فى البرية الأرز والسنط والآس وشجرة الزيت. أضع فى البادية السرو والسنديان والشربين معاً.

وكلها من أجود أنواع الشجر ، إذ إن « **كل بنيك تلاميذ الرب** » ، وكلها زرع حق مغروسون فى بيت الرب ، فى ديار بيت الهنا زاهرين ، الصديق كالنخلة يزهو وكالارز فى لبنان ينمو ، بَنوك مثل غروس الزيتون «**شجرة الزيت** » والآس رآه أيضاً زكريا النبى فى الظل «**فى ظل المسيح** » ، تحت ظله اشتهيت أن أبيت ، بل ورأى الرب واقفاً بين الآس .

ومن هذه الأشجار بنى الهيكل مادياً فى القديم ومنها

يبنى الهيكل الروحى الذى هو الكنيسة جسد المسيح فى الجديد .

هذه الأشجار جميعها مغروسة على مجارى المياه «مجارى الروح» كقول المزمور الأول فى تطويب الرجل ، الذى هو المسيح كقول الآباء ، لكى ينظروا ويعرفوا وينتبهوا ويتأملوا معاً أن يد الرب فعلت هذا وقدوس إسرائيل أبدعه .

ولكن سكب الروح وانفجار ينابيعه بهذه الطريقة وهذا الإعجاز والتحوّل العجيب فى طبيعة البشر المقفرة والخالية من كل صلاح ، إلى طبيعة جديدة ونمو أشجار الحياة الجديدة والغرس الجديد . يصير هو بذاته أكبر عمل كرازى إذ يشهد لنعمة اللّه وانسكاب الروح وهذا صار بالفعل فى يوم الخمسين ظاهراً للجميع .

عدد ٢١ - ٢٤ :

٢١- قدموا دعواكم يقول الرب . أحضروا حججكم يقول ملك يعقوب .

٢٢- ليقدموها ويخبرونا بما سيعرض . ما هى الأوليات ؟ أخبروا فنجعل عليها قلوبنا ونعرف آخرتها . أو أعلمونا المستقبلات .

٢٣- أخبروا بالآتيات فيما بعد فنعرف أنكم آلهة ، وافعلوا خيراً أو شراً فنلتفت وننظر معاً .

٢٤ – ها أنتم من لا شئ وعملكم من العدم . رجس هو الذى يختاركم .

آفة الانسان الأولى هى كبرياؤه .

لكى ينظروا ويعرفوا وينتهوا ويتأملوا معاً أن يد الرب فعلت هذا ، أليس هذا ما حدث يوم الخمسين ؟

فنحن نقرأ فى سفر الأعمال : « وكان يهود رجال أتقياء من كل أمّة تحت السماء ساكنين فى أورشليم . فلما صار هذا الصوت اجتمع الجمهور وتحيروا ... فبهت الجميع وتعجبوا ... » أع ٢ : ٥ –٧ . ونقرأ أيضاً : « فتحير الجميع وارتابوا قائلين بعضهم لبعض ما عسى أن يكون هذا » ع١٢ .

فهم ومن بعدهم إذ صار عمل الروح القدس هكذا واضحاً . فهم إذ ينظرون الآيات والقوات والعجائب يقودهم ذلك إلى المعرفة – معرفة المسيح – فيعرفونه وقوة قيامته وشركة آلامه وإذ يصير المسيح ظاهراً لهم بالمعرفة ينتبهون كمثل الغفلان أو النائم أو السكران – ينتبهون إلى خلاص أنفسهم . إذ ينبه الروح أرواحهم وينخسها كما فى يوم الخمسين ، فيتأملون بأكثر تدقيق وأكثر عمق ، ويدركون يد رب الجنود التى تصنع الخلاص كما فى القديم « يمينك يارب معتزة بالقدرة يمينك يارب تحطم العدو » خر١٥ : ٦.

اشعياء ٤٢

عدد ١ – ٤ :

١– هوذا عبدى الذى أعضده مختارى الذى سرت به نفسى . وضعت روحى عليه فيُخرج الحق للأمم .

٢– لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع أحد فى الشارع صوته .

٣– قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة خامدة لا يطفئ . إلى الأمان يُخرج الحق .

٤– لا يكلّ ولا ينكسر حتى يضع الحق فى الأرض وتنتظر الجزائر شريعته .

هنا يصف الروح بكلمات نورانية غاية فى الإبداع والإحكام ، يصف ملامح المسيح المخلص ، ألم يقل الرب عن الروح القدس « ذاك يمجدنى » .

وهو يقدم شخص المسيح للبشرية ، بكلمة « هوذا » يشير إليه قبل الدهور ، إذ هو مشتهى الدهور ، ومشتهى النفوس المتعطشة للخلاص ... كما قدمه يوحنا المعمدان «**هوذا حمل الله**» ، وكما قدمه بيلاطس لجماعة اليهود فى يوم صلبه إذ اخرجه إليهم قائلاً « **هوذا الرجل** » ، وعلى النفس أن تقبله كتلاميذ يوحنا ، أو أن ترفضه كجماعة

اليهود ، وهو فى كلتا الحالتين واقف فى انتظارٍ كحمل وديع بلا عيب على استعداد للبذل حاملاً صليبه .

والروح إذ يقدم المخلص الكلمة المتجسد ، يقدمه :

أولاً كعبد الرب : ويلذ للنفس أن تنهل من النعم التى صارت لنا بكون المسيح عبداً ، شريكاً للعبيد ، بل هو عبد المتسلطين ، وضع نفسه وأطاع ، أخذاً شكل العبد، وُجد فى الهيئة كانسان كما يقول الرسول : « فإذ قد تشارك الأولاد فى اللحم والدم اشترك هو أيضاً فيهما ، لذلك لا يستحى أن يدعوهم إخوة قائلاً أخبر باسمك إخوتى » .

وهو إذ صار عبداً لأجلنا صيّرنا أحراراً من العبودية قائلاً : إنى لا أعود اسميكم عبيداً بل أحباء ... إن حرركم الابن صرتم بالحقيقة أحراراً .

ولكن لا يغيب عن الذهن أنه هو وحده الذى صار مسرة الآب وفرحه ، إذ من يوم سقط الانسان لم يكن من هو موضوع مسرة الآب وفرحه سوى ذاك الذى لم يفعل خطية ولا وجد فى فمه غش .

قد صار هذا بالتحقيق فى حياة الرب ، فهو على نهر الأردن حيث شهد يوحنا المعمدان قائلاً : « رأيت الروح

نازلاً من السماء مثل حمامة وصوت من السماء قائلاً : هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت . ومرة أخرى على جبل التجلى حين سمع التلاميذ صوت الآب من السماء ، قائلاً : **هذا هو ابنى الحبيب له إسمعوا .**

الآن صار الانسان فى المسيح موضع مسرة الآب وحبه وفرحه ، فنحن فى المسيح صرنا أبناء ، صرنا أحباء ، صرنا مقبولين ، صرنا نفرح قلبه بحياة التوبة والرجوع وعمل وصاياه ومسرته كل حين .

لكن لينتبه القارئ أن كل ما يقوله الروح عن المسيح صار لنا ميراثاً ، فلسنا بعد غرباء ونزلاء بل رعية الله . فإن قيل عن المسيح مختارى ، فنحن فى المسيح صرنا مختارين ، إذ اختارنا فيه قبل كون العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه فى المحبة « **ألست أنا اخترتكم** » ... « **البسوا كمختارى الله المحبوبين أحشاء مراحم** ... » .

عبدى الذى أعضده مختارى الذى سرت به نفسى . وضعت روحى عليه . الآب يعضده ، صوت من السماء مسموع من الجميع ، حتى قبيل آلامه حين شفع الرب فى طبيعتنا حاملاً خطايانا ، قال للآب مجدنى بالمجد الذى لى عندك قبل كون العالم ، فجاء صوت من السماء يقول «مجدت وامجد ايضاً » ، قال الرب للتلاميذ الأطهار ليس

من أجلى صار هذا الصوت بل من أجلكم ، أما الآخرون فظنوا أنه رعد وآخرون قالوا إن ملاكاً هو الذى كلمه ... ولكنه كان صوت الآب الذى يعضده ، ونحن نعلم أن اللّه لا يعطى مجده لآخر ، ولكن الابن الكلمة الذى تجسد لأجل خلاصنا هو واحد مع أبيه كائن فيه كل حين .

وضعت روحى عليه :

لقد حبل به فى البطن البتولى من الروح القدس **« الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظللك لذلك المولود منك قدوس وابن العلى يدعى »** . وعندما أُستعلن للعالم كحمل اللّه الذى يحمل خطية العالم ، شهد عنه يوحنا أعظم مواليد النساء أنه رأى الروح القدس نازلاً من السماء مثل حمامة ومستقراً عليه .

فيُخرج الحق للأمم :

المسيا – كلمة اللّه ، كائن فى البدء مع أبيه ، ولكنه ظهر فى الجسد . وبظهوره ، أعلن كل ما للآب وأظهره فهو أظهر لنا حب الآب **« الآب نفسه يحبكم »**.وأظهر لنا الحياة التى كانت عند الآب **« الحياة أظهرت »** ، أظهر لنا الحق والنور والطريق ، **« أنا هو الطريق والحق والحياة »** .

وقد أخرج الحق ليس لليهود فقط بل وللأمم أيضاً إذ صار الأمم شركاء فى مواعيد اللّه **« إذا لستم بعد غرباء**

ونزلاء بل رعية الله ...» «أنتم الذين كنتم بعيدين صرتم قريبين».

وما أبدع كلمات الروح فى وصف وداعة المسيح وحلمه، «**لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع أحد فى الشوارع صوته**». ولكن أن تقال هذه الكلمات عمن يخرج الحق فهذا غريب كل الغرابة، فالدفاع عن الحق والعدل يلزمه القوة والعنف أحياناً، ويلزمه القسوة والعقاب أحياناً، ويلزمه الصياح والتهديد أحياناً. وكم باسم الحق انتهكت حريات وارتكبت أخطاء، وكم من أجل الدفاع عن الحق ديست الوداعة وأهمل التواضع وانكسر.

ولكن الكامل - الذى هو الحق ذاته - لم تعوزه هذه الحيل ولا هو فى حاجة أن يلجأ إليها، ولكن أخرج الحق إلى النور، بوداعة النور لا يصيح ولا يخاصم ولا يسمع أحد فى الشوارع صوته ... غاية فى الرِّقة والعذوبة كما تصفة عروس النشيد «حلقه حلاوة وكله مشتهيات»، أليس هو القائل «**تعلموا منى لأنى وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم**» وهكذا صار لنا روح وداعة المسيح.

قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة خامدة لا يطفئ.

القديس متى الإنجيلى بالروح القدس سجل تكميل هذا القول الإلهى قائلاً عن الرب يسوع «فلما خرج

الفريسيون تشاوروا عليه ليهلكوه . فعلم يسوع وانصرف من هناك وتبعته جموع كثيرة فشفاهم جميعاً وأوصاهم أن لا يظهروه لكى يتم ما قيل بإشعياء النبى القائل . هوذا فتاى الذى اخترته . حبيبى الذى سرت به نفسي ، أضع روحي عليه فيخبر الأمم بالحق . لا يخاصم ولا يصيح ولا يسمع أحد فى الشوارع صوته . قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة مدخنة لا يطفئ حتى يخرج الحق إلى النصرة وعلى إسمه يكون رجاء الأمم. مت ١٢ :١٤-٢١ .

يالوداعة المسيح وحلمه واتضاعه الفائق الذى يسبى القلوب ويذيب النفوس . هكذا يواجه شر الأشرار . لقد امتلأ الفريسيون من نحوه بكل الحقد وكل الكيد والكراهية ، وفاضت قلوبهم بانفعالات القسوة والعنف نحوه واتفقت إرادتهم فتشاوروا عليه بالموت وهمّوا للتنفيذ والرب يرعى ويرصد حركات القلوب ، ومؤامرة الأشرار الذين يتشاورون عليه بالسوء .

فكيف قابل المسيًا كل هذا ؟ وماذا كان رد الفعل ؟

هذا هو سر المسيح ، وروح المسيح الذى قال . لا تقاوموا الشر ، أغلبوا الشر بالخير ، احبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم أحسنوا إلى مبغضيكم . إن جاع عدوك فاطعمه وأن عطش فاسقه .

لقد كان هذا هو برنامج المسيح منذ المذود إلى الصليب ، إضمروا نحوه الشر وافتكروا بقتله أما هو فأضمر نحوهم الخير مفتكراً بحياتهم ، « أتيت لتكون لكم حياة » .

وهو بوداعته العجيبة جذب الكل إليه ، معطياً رجاء للضعفاء وأملاً لصغيرى القلوب والنفوس ، حتى القصبة المرضوضة وحتى الفتيلة المدخنة تجد عنده رجاءاً وتحتمى فيه لأنه لا ولن يطفئها ، لقد جاء ليلقى ناراً على الأرض وانحصرت إرداته فى اضطرامها ، فلتفرح الفتيلة المدخنة برجاء ولتهتف لمخلص العالم فادى نفوس عبيده .

عد ٤- « **إلى الأمان يُخرج الحق ، لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق فى الأرض وتنتظر الجزائر شريعته** » .

الرب يسوع قال أنا هو الحق ، وهو المتكلم بالحق «**الحق الحق أقول لكم** » ، وهو أظهر لنا الحق بظهوره وأعلنه بصليبه ، ونصر الحق بقيامته إذ هو جرّد الرئاسات وظفر بهم بحق ، وداس الموت بموته وأظهر القيامة بقيامته، وقد اخرج الحق إلى الأمان حيث لا رجوع ولا هزيمة للحق بعد قيامته ، ولا سيادة للموت بعد موته، لقد كسر شوكة الموت وأضاء لنا الحياة والخلود ، وما أجمل هذا التعبير أنه يخرج الحق إلى الأمان ، حيث يهرب الخوف والظلمة والموت جميعاً .

أما هو فلا يكل ولا ينكسر ، هو قاهر الموت لأنه الحياة وقد قيل عنه في الرؤيا أنه خرج غالباً ولكي يغلب » .

فالنصرة والغلبة التي صنعها الرب يسوع لا يقترب إليها الانكسار ولا الهزيمة... فيا من اتحدتم بالمسيح وآمنتم به ، طوباكم لأنه يقودكم في موكب نصرته كل حين ويظهر بكم رائحة مجده في كل مكان . أما قوله إن الجزائر تنتظر شريعته ، فهو عن الأمم الذين كانوا في الظلمة وكانوا يتلهفون شوقاً إلى إشراق النور الحقيقي المسيح الهنا .

عد ٥ - ٧ :

٥ - هكذا يقول الله الرب خالق السموات وناشرها باسط الأرض ونتائجها معطي الشعب عليها نسمة والساكنين فيها روحاً .

٦ - أنا الرب قد دعوتك بالبر فأُمسك بيدك وأحفظك وأجعلك عهداً للشعب ونوراً للأمم .

٧ - لتفتح عيون العمى لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين في الظلمة .

هذا ما يقوله الرب الإله الذي خلق السماء والأرض ومعطي الحياة لكل ذي جسد ، فلتعِ كل النفوس قوة كلمته وصدق مواعيده التي لا تزول ولا تتغير ، فلينظروا

إلى السماء من فوق فيعرفوا قدرته لأن السموات تحدث بمجده والفلك يخبر بعمل يديه ، أو فليتأملوا سرّ الحياة التى فيهم فيتلامسوا مع واهب الحياة ، وهنا إذ يعرف من الذى يتكلم معه حينئذ تنفتح أمامه أبواب الخلاص بثقة .

أما وقد تكلم الآب ووعد بالخلاص الذى صنعه بابنه يسوع المسيح ، ابن الآب بالحق والمحبة ، فهو يبين طبيعة إرسالية الابن أن يكون عهداً للشعوب ، ونوراً للأمم .

فالعهد الأول كان بالوصايا والناموس ، والذبائح الدموية ، أما العهد الثانى فهو عهد النعمة ، أجعل نواميسى فى قلوبهم ، واكتبها فى أذهانهم ، وصار كمال كل شئ فى المسيح الذى قدّم نفسه للآب ذبيحة وقرباناً مرة واحدة ، البار من أجل الأثمة ، لكى يقربنا إلى اللّه ، لهذا قال للرسل هذا هو العهد الجديد بدمى ، إذ سكب نفسه للموت صانعاً السلام ومبطلاً الخطية والموت بموته .

وأيضاً نوراً للأمم ... إذا أن الأمم كانوا فى ظلمة الجهل الذى فيهم ، **لأنكم كنتم قبلا ظلمة أما الآن فنور فى الرب** ، أنار لنا الحياة والخلود ... حقاً أنه هو نور العالم .

أما اقتدار الخلاص الذى للابن فيعلنه الآب مبتدئاً بأعظم النعم الخلاصية **تفتح عيون العمى** ... نحن نعلم أن ابن اللّه قد جاء وأعطانا بصيرة ... هذه هى بدء

النعم والمدخل للملكوت . إن المعمودية التى هى فتح أعين العميان ، يكمن فيها كل مفاعيل خلاص المسيح ، موته وقيامته ، وسحق الشيطان ... هى الاستنارة « **الذين استنيروا مرّة** ... » « **بعدما أنرتم صبرتم** » ... « **ذهبتُ وأغتسلت فابصرت** » ... « **فوقع من عينه شئ كأنه قشور** » .

« **لتخرج من الحبس المأسورين . من بيت السجن الجالسين فى الظلمة** » . لقد تسلط روح الظلمة على كل بشر ، وربط بربطات الظلمة كل نفس موثقاً النفوس بوثاقات الخطايا وعبودية الشهوات . وسجن الظلام هو الجحيم ، وليس من مخلص يستطيع أن يفك قيود المأسورين ويطلق أسرى الشيطان إلا شخص الفادى يسوع المسيح ربنا الذى قال « إن حرركم الابن صرتم بالحقيقة أحراراً » ، وهو الذى من قبل صليبه نزل إلى الجحيم وذهب وكرز للأرواح التى فى السجن وارتفعت الأبواب الدهرية ودخل ملك المجد إذ جرّد الرئاسات والسلاطين وأشهرهم جهاراً ظافراً بهم ...

عد ٨- أنا الرب هذا اسمي ومجدى لا أعطيه لآخر ولا تسبيحى للمنحوتات .

فإن كان الآب يحب الابن ودفع كل شئ إليه كل

سلطان ، وأخضع كل شئ تحت قدميه ، وأمسك بيده وجعله عهداً للشعوب ونوراً للأمم ، ليفتح عيون العمى ويفك أسر الأرواح المأسورة ؛ فليكن معلوماً إن اللّه لا يعطى مجده لآخر ، بل إن الابن واحد مع أبيه والروح القدس فى الجوهر والربوبيه والمجد والكرامة فكل أعمال الخلاص الفائقة التى صنعها المسيح المخلص هى بذاتها أعمال أبيه الصالح بالروح القدس « **ما يصنعه الآب يصنعه الابن أيضاً** » ... « كل ما للآب هو لى » .

ويلذ لنا أن نتأمل فى قوة اسم الخلاص ، عندما يقدمه لنا الروح « **هذا اسمى** » وأن نتمتع بنعمة الاسم المبارك ، التى قوة الخلاص كائنة فيه ، إذ ليس اسم آخر تحت السماء أعطى بين الناس به نستطيع أن نخلص إلا اسم يسوع ، وان نعطيه المجد والكرامة التى لا تعطى لآخر بل للإله الواحد وحده الآب والابن والروح القدس .

عد ٩ - ١٣ :

٩- هوذا الأوليات قد أتت والحديثات أنا مخبر بها. قبل أن تنبت أعلمكم بها .

١٠- غنوا للرب أغنية جديدة تسبيحة من أقصى الأرض . أيها المنحدرون فى البحر وملؤه والجزائر وسكانها .

١١- لترفع البرية ومدنها صوتها الديار التى سكنها قيدار ، لتترنم سكان سالع . من رؤوس الجبال ليهتفوا .

١٢- ليعطوا الرب مجداً ويخبروا بتسبيحه فى الجزائر .

١٣- الرب كالجبار يخرج . كرجل حروب ينهض غيرته . يهتف ويصرخ ويقوى على اعدائه .

إن شخص المسيا كما تصفه كلمات النبوة هذه ، هو الذى يفك رموز القديم ويكملها فى شخصه لأن « **شهادة يسوع المسيح هى روح النبوة** » فالأوليات قد أتت فى المسيح ، فعبارة « لكى يتم ما هو مكتوب بالنبى القائل » أو « **كما هو مكتوب** » أو « **لأنه هكذا مكتوب بالنبى القائل** » ... تتكرر كثيراً فى الإنجيل ... عندما كمل الزمان وظهر ابن اللّه فى الجسد جامعاً فى نفسه كل شئ إذ هو مشتهى الدهور وكمال جميع النبوات .

أما المستقبل « **الحديثات** » فليس فى قدرة إنسان أن يعيه أو يعرفه ، أما المسيا فقد أنار بروحه القدوس ظلام المستقبل « **يخبركم بأمور آتيه** » . بل لقد كشف الرب عما يحدث فى آخر الأيام ، وكشف لعبده يوحنا بالرؤيا بإعلان يسوع المسيح الذى أراه إياه ، « **مالابد أن يكون** » ما

يختص ليس بامور هذا الزمان بل ما يخص الحياة الأبدية .

وإذ يعلن الوحى عن شخص المسيا بإمكانيات الخلاص واسم الخلاص ومجد اللّه الذى لا يعطى لآخر وتحقيق كل شئ فى شخصه ، إذ يعلن كل هذا يدعو إلى التسبيح والحمد والشكر لأجل هذه النعم العظيمة ، لاجماعة اليهود فقط بل والأمم البعيدة وأطراف الأرض ، لأن التسبيح هو العمل التلقائى للنفوس التى تتمتع بالخلاص.

« غنوا للرب أغنية جديدة تسبيحه من أقصى الأرض » وأغنية الخلاص وترنيمته هى ترنيمة جديدة دائماً **«سبحوا الرب تسبيحا جديداً»** لأن عمل الخلاص الذى عمله الرب بحسب فكره وقدرته ، لا يمكن أن يحده الانسان بحدود العقل البشرى ولا يستطيع الانسان أن يدرك نهايته أو كما له لذا يظل جديداً إلى أبد الآبدين ، وأينما تدرك بركات الخلاص الانسان فيسبح ويمجد صانع الخلاص ، فإن التسبحة تأتى جديدة كل الجدة بفرح ونشوة لاتتناقص كأفراح العالم بل تتجدد كالنعم التى هى جديدة فى كل صباح .

وبشرى الخلاص وتسابيحه بالروح القدس ستصل إلى أقصى الأرض ، إلى الجزائر المنعزلة ... حقاً تنبأ المزمور عن كرازة الرسل بالخلاص قائلاً **« الذين لم**

يسمع لهم صوت خرجت أصواتهم إلى أقطار المسكونة ، .

ولا يقتصر التمتع بالخلاص والتسبيح له على شعب خاص أو أمّة معينة ، بل سيشمل الخلاص أطراف الأرض « لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد » كما هو مكتوب لذلك ينبه الروح لا شعب إسرائيل بل :

١- البرية ومدنها لكى ترفع صوت الحمد والتسبيح .

٢- الديار التى سكنها قيدار أى مدن إسماعيل الذين ليس لهم نصيب ولا ميراث مع إسرائيل ، بل كانت فقيرة ملفوحة بالشمس وصارت مثلاً يطلق على كل ما هو فقير وأجرب . .

٣- سكان سالع ، وهى من مدن الفلسطنين ، وهم أمم وثنيين يناديهم الروح أن يهتفوا من رؤوس الجبال التى سكنوا عليها عندما تدركهم بركات الخلاص .

٤- الجزائر وهى الأراضى المحاطة بمياه بحر العالم الزائل من كل جانب منفصلة عن بعضها عائشة لذاتها ، تعبيراً عن النفوس الغارقة فى ملذات الدنيا والشعوب المنفصلة عن معرفة الإله الحقيقى ، هذه أيضاً تدركها بركات الخلاص فى المسيح يسوع الذى جاء لكى يطلب ويخلص ما قد هلك .

+« الرب كالجبار يخرج . كرجل حروب ينهض غيرته، يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه » .

خروج الرب كان هو تجسده ، الحياة التي كانت عند الآب أظهرت لنا ، الكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده . وخروجه كان بجبروت حطم سلطان إبليس وكل جبروته ، هي إذن حرب... في القديم كان وجود الله غير معلن ، كان للرب حرب مع عماليق من جيل فجيل وسر الإثم والمعصية كان يعمل ويعمل ...

اما وقد ظهر الله في الجسد « عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد » ، فقد صار جلياً تنظره كل عين وتلمسه كل يد ... كرجل حرب ينهض غيرته « غيرة بيتك أكلتني » .

ويقوى على أعدائه بجبروت قيامته إذ كسر شوكة الموت وغلب قوة الجحيم وداس الموت بموته .

عدد ١٤ - ١٧ :

١٤- قد صمتُ منذ الدهر سكت تجلدت . كالوالدة أصيح . أنفخ وأنخر معاً .

١٥- أخرب الجبال والآكام وأجفف كل عشبها وأجعل الأنهار يبساً وأنشف الآجام .

١٦- وأُسيِّر العمي في طريق لم يعرفوها . في مسالك

لم يدروها أمشيهم . أجعل الظلمة أمامهم نوراً والمعوجات مستقيمة . هذه الأمور أفعلها ولا أتركهم .

١٧ - قد ارتدّوا إلى الوراء . يخزى خزيًا المتكلون على المنحوتات القائلون للمسبوكات أنتنّ آلهتنا .

تجلّدتُ كالوالدة :

لقد شبه الوحى الإلهى عمل الخلاص بالولادة ، ما أروعة تشبيه هذا الذى صنعه الرب بالخليقة الجديدة كما كلم نقوديموس قائلاً : « إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت اللّه » ، فنحن بالمسيح مولودون لا من زرع يفنى بل مما لا يفنى ، وبما أننا أولاد مولودون من فوق فقد صار اللّه أبونا .

ولكن لا يتصور أحد أن تكون الولادة بلا آلام !!

فإن كانت ولادة الجسد كتب عليها أن تكون بالآلام ، فكم يكون خلاص الأرواح ... لقد كمله المسيح بآلامه المخلصة على الصليب .

ولكن كل هذا حل فى ملئ الزمان ، فمنذ الدهر واللّه يرى كيف أفسدت الخطية خلقتنا وكيف شوهت صورته ومثاله . ويقول منذ الدهر سكت وتجلدت إلى أن جاء الوقت وقت الخلاص ، وقت ولادة الخليقة الجديدة ، حيث يقال أن الأشياء العتيقة قد مضت . لذلك يقول الوحى أنه

يخرب الجبال ويجفف كل عشبها ويجعل الأنهار يبساً وينشف أجام الماء القديم لكى يخلق كل شئ جديداً .

ومرة أخرى يعلن الروح أن نعمة الخلاص والولادة الجديدة هى خلقة بصيرة واستنارة روحية كتفتيح أعين العميان !! فيقول أسيِّر العمى فى طريق لم يعرفوها فى مسالك لم يدروها أمشيهم أجعل الظلمة أمامهم نوراً . النور والطريق هما واحد ... هما المسيح المبارك « **أنا هو نور العالم** » « **أنا هو الطريق والحق والحياة** » .

« **قد ارتدوا إلى الوراء . يخزى خزياً المتوكلون على المنحوتات القائلون للمسبوكات أنتن آلهتنا** » . ولكن ليكن معلوماً أن طريق الخلاص هو واحد وليس غيره ، وأن من يضع يده على المحراث وينظر إلى وراء لا يصلح للملكوت.

فإن كان الانسان ينظر إلى وراء بعد أن ينال النعمة ويدرك الخلاص فإنه يخيب من النعمة.أو إن ظن أحد أنه يتكل على غير المسيح ، فهو كمن يتكل على وثن أو على المسبوكات صنع أيادى الناس .

فليس بأحد غيره الخلاص وليس إله آخر يستطيع أن ينجى هكذا .

عدد ١٨ – ٢١ :

١٨ – أيها الصم اسمعوا أيها العمى انظروا لتبصروا .

١٩- من هو أعمى إلا عبدى وأصم كرسولى الذى أرسله . من هو أعمى كالكامل وأعمى كعبد الرب .

٢٠- ناظراً كثيراً ولا تلاحظ . مفتوح الأذنين ولا يسمع .

٢١- الرب قد سر من أجل بره . يعظم الشريعة ويكرمها .

قال ربنا يسوع بعد أن فتح عينى المولود أعمى «**لدينونة أتيت إلى هذا العالم ليبصر الذين لا يبصرون ويعمى الذين يبصرون**» . لقد فتّح أعين العميان بينما قال للفريسيين الرافضين النور « لو كنتم عمياناً لما كانت لكم خطية ولكن الآن تقولون أننا نبصر فخطيتكم باقية » ، فهم والحال هذه لهم عيون ولا يبصرون ولهم آذان ولا يسمعون . لذلك يناديهم الروح قائلاً أيها الصم ... أيها العمى ... أسمعوا وانظروا ، ولكن قد أغلق الشيطان عليهم ، غلّظ قلوبهم ، وأعمى عيونهم عن رؤية الحق الإلهى ، وسد آذانهم عن سماع الكلمة المتجسد من العذراء.

لكن ما عساهم أن يروا فى المسيح ؟ ليس مثله ليس من يشبهه !!

وياللعجب حينما يصفه الوحى الإلهى « **من هو أعمى إلا عبدى وأصم كرسولى** » ... **من هو أعمى كالكامل** ؟ .

هو وحده الكامل ، بل هو الكمال ذاته ، فكيف يكون ذلك ؟

لم يعرف تاريخ البشرية كلها أعجب من شخص المسيّا ، إنه المتعجب منه بالمجد حقاً . فهو المطلع على الأسرار والخفايا ، وهو فاحص القلوب ومختبر الكلى ، وهو النور والساكن فى النور الذى لا يدنى منه .

وهو لم يكن محتاجاً أن يشهد له أحد عن الانسان لأنه علم ما بداخل الناس .

ورغم كل هذا ، إذ صار فى الهيئة كإنسان ، كان كأنه لا يرى ولا يسمع . ناظر الخطايا ودنس الناس ، مطلع على الأسرار التى يتكلم بها الناس فى المخادع ، والذين كانوا يجدفون عليه فى ضمائرهم ، كان هو كاشف أسرارهم مطلع على نياتهم ، ولكنه كان كمن لا يرى ولا يسمع ...

أنه هو الديان ، الذى يجازى عن الخطايا ، وينتقم من فاعلى الشر ! هذا حق ، ولكن عند ظهوره متجسداً جاء مخلصاً وفادياً حتى قال للتى أمسكت فى ذات الفعل «ولا أنا أدينك» ، لم يأت ليدين العالم بل ليخلص العالم .

قال سمعان الفريسى لما أمسكت المرأة الخاطئة بقدميه، « لو كان هذا نبياً لعلم مَن هذه المرأة التى لمسته وكيف حالها أنها خاطئة !! » كان الرب كمن لا يبصر خطاياها ولا سمع عنها ، ... من هو الأعمى كالكامل واصم كرسولى ...

لقد حوّل عينيه بإرادته ، وصرف مسمعه عن الذين يشهرون بالمرأة الخاطئة ويعلنون دينونتها لأنه قصد أن يخلص ويغفر وينسى الخطايا ويغسل الآثام بدم صليبه ، فصار ناظراً نظراً كثيراً ولا يلاحظ بإرادته الكاملة وليس عجزاً ، وهو مفتوح الأذنين ولا يسمع بكامل حريته كمن لا يريد . لأن إرادته كانت فى إحياء المائتين وتخليص الخطاة الذين أولهم أنا .

الرب قد سر من أجل بره . يعظم الشريعة ويكرمها ، هذا السلوك الخلاصى الذى اتبعه المخلص والرب يسوع المسيح كان مسرة الآب وفرحه ، إذ هو بعينه الكمال المطلق . لم يكن فى البشرية ما يسر الآب ، لأنه ليس بار ليس من يفعل الصلاح ، الجميع زاغوا وفسدوا وأعوزهم مجد الله .

ولكن المسيح المبارك كمل الناموس عنا ، المتغاضى عن الآثام وغافر الذنوب ، هو ابن الانسان الذى يتطلع إليه الآب فيجد مسرته فيه إذ أنه أرضاه كإنسان عاملاً مشيئته ومكملاً كل بر بدلاً عن الانسان ، إذ هو وحده بلا خطية ولا وجد فى فمه غش .

حقاً هل وجد إنسان منذ بدء الخليقة عظم الشريعة وكرمها مثل الكامل ؟ .

ما أجمل كلمات القداس التى تقول : أكملت ناموسك عنى ، إنه هو ناموسه ووصاياه ، فلما عجزت أنا عن تكميلها أكملها هو نيابة عنى ، فسر قلب الآب وأرضاه وصار هو ذاته الطريق إلى حضن الآب ، فكل من هو فى المسيح صار موضع سرور الآب ورضاه .

عد ٢٢- ولكنه شعب منهوب ومسلوب قد اصطيد فى الحُفَر كله وفى بيوت الحبوس اختبأوا . صاروا نهباً ولا منقذ وسلباً وليس من يقول رُدَّ .

هكذا يصف الروح حال هذا الشعب ، وما أبأسه من حال ! لقد وصل إلى الدرك الأسفل فى الانحدار فى الخطايا ، لقد أصبح الشعب فريسة للشيطان عدو الخير فنهبه وسلبه واصطاده فى الحفر ، وأغلق عليه فى الحبس. وهل تتوقع من الشيطان غير ذلك ؟ مسكينة هى النفس التى تقع فريسة فى يده أنه غير الرحيم .

ألا تصير هذه الأفعال المخيفة محذرة لنا بالأكثر لكى نسلك فى خوف اللّه ؟ .

ولكن هل يقف اللّه موقف المتفرج من هذا العاتى ؟ حاشا .

قال مخلصنا الصالح : « إذا تسلح القوى يحفظ داره فى أمان ولكن متى جاء من هو أقوى منه فإنه ينزع سلاحه المتكل عليه ويوزع غنائمة » .

هكذا صنع مخلصنا نزع سلاحه ، وكسر شوكة الخطية بموته وأخرج من بيت الحبوس المسبيين ، فشكراً لله على عطيته التى لا يُعبِّر عنها .

فى ذلك الوقت كان السلب والنهب وصيد النفوس غنائم تحت سيطرة الخطايا وسجن الشهوات . فهل من مخلص ؟

يقول النبى بالروح ، روح الأنين نحو الخلاص والرجاء نحو المخلص « **صاروا نهباً ولا منقذ وسلباً وليس من يقول رُدّ** » ، حتى الصوت والصراخ من سطوة العاتى ، لم يكن من يصرخ ويقول « رُد » . وأما القدرة على الخلاص فكانت معدومة تماماً ، إلى أن أدركت نعمة المسيح المخلص البشرية كلها فأنقذ ورد كل النفوس .

عدد ٢٣ – ٢٥ :

٢٣ – من منكم يسمع هذا يصغى ويسمع لما بعد

٢٤ – من دفع يعقوب إلى السلب وإسرائيل إلى الناهبين . أليس الرب الذى أخطانا إليه ولم يشاءوا أن يسلكوا فى طرقه ولم يسمعوا لشريعته .

٢٥ – فسكب عليه حموّ غضبه وشدة الحرب فأوقدته من كل ناحية ولم يعرف وأحرقته ولم يضع فى قلبه .

ماذا ينتظر الانسان إن تخلت عنه النعمة ؟ أو فارقه

روح المؤازرة ؟ نطق إرميا النبى كلمات الوحى باكياً قائلاً «**تركت بيتى ، رفضت ميراثى دفعت حبيبة نفسى ليد أعدائها** » أر ١٢ : ٧

من الذى دفع يعقوب إلى السلب وإسرائيل إلى الناهبين ؟

خطاياكم منعت الخير عنكم ، رفضوه ولم يقبلوه ولم يستحسنوا أن يبقوا الله فى معرفتهم ، لذلك أسلمهم إلى ذهن مرفوض .

والمحزن والمؤسف ليس أنه أسلمهم وسكب عليهم حموّ غضبه حتى احترقوا من كل ناحية ، ولكن الذى تقشعر له السماء أنهم لم يدركوا ولا وضعوا ذلك فى قلبهم لقد أصابتهم بلادة .

عاموس النبى يكشف عن هذه الحقيقة « **هل تحدث بلية فى المدينة والرب لم يصنعها ؟** » .

فإن كان يعقوب قد دفع للسلب ، وإسرئيل للناهبين ، فليكن معلوماً أن أجرة الخطية موت، إنها أحكام الله « **إن شئتم وسمعتم تأكلون خير الأرض وإن أبيتم وتمردتم أتؤكلون بالسيف** » أش ١ : ٢٠

فإن يكن ثمة آلام سبى أو انكسار ، وأن يكن حمو

غضب وشدة حرب تحرق كالنار من كل ناحية ، فإن هذا يكون بسبب تخلى النعمة . فالذين رفضوا النور عاشوا فى الظلام ، والذين لم يستحسنوا أن يبقوا اللّه فى معرفتهم أسلمهم اللّه إلى ذهن مرفوض . وكما لم يشاءوا أن يسمعوا صوت وصاياه لم يعد يسمع صوت صراخهم فى وجعهم .

وقد تكرر هذا الأمر فى كل حقبات تاريخ معاملات اللّه مع الناس ، فإن هم أدركوا وفهموا أن ما أصابهم كان بسبب خطاياهم وبعدهم وكسرهم للوصايا ، فحزنوا حزن التوبة والرجوع ، ورجعوا كل واحد عن طريقه الردية والشر الذى فى أيديهم ، فللحال يتبدّل حالهم من حزن إلى فرح ومن شدة إلى فرج .

ولكن ماذا إذا لم يدرك الانسان أن ما أصابه هو عصا تأديب وحموّ غضب ؟ ماذا إذا تبلد الضمير ؟

حينئذ ستظل يد الرب ممدودة بعد كما قال إشعياء فى بداية نبوّاته ، ولكن بئس الحال صار حال هذا الشعب الذى وهو فى مرارة المر ورباط الظلم ولظى من كل ناحية وهو لم يعرف ، تضئ نار الغضب تشتعل فيه وهو لم يضع ذلك فى قلبه ، لقد أصابت إسرائيل البلادة حتى الموت .



إشعياء ٤٣

عد ١ - والآن هكذا يقول الرب خالقك يا يعقوب وجابلك يا إسرائيل . لا تخف لأنى فديتك . دعوتك باسمك. أنت لى .

(والآن ... يوم الخلاص وزمن الفداء) .

يا للرجاء والخلاص يشرق فى عمق الظلام فيبدده ، يا للمراحم الإلهيه تفتقد أشر الخطاة ...

قد وصل إسرائيل بنهاية كلمات الأصحاح السابق ، إلى البلادة وعدم الإحساس ، إذ صار معاقباً تحت نير الخطايا حتى الموت ، ولكن هل من رجاء ؟

نعم ما أعظم الرجاء فى الخلاص فى سفر إشعياء ... لقد جاء الرب يسوع ليخلص ما قد هلك هذا حق .

وإن تكن خطايانا تشهد علينا فاعمل من أجل اسمك ، هكذا صرخ إرميا النبى، وهذا هو الروح الذى ألهم الانبياء.

والآن ... هو آن الخلاص والوقت المقبول ويوم الرب ، هنا يتكلم الرب كخالق وجابل جبلتنا ، إنه خلقنا ولا يزال يحمل مسئولية خلاصنا ، ومن غيره يا ترى يستطيع أن يخلص ؟ أو يرق للخطاة ؟ . وهو إذ يتكلم كخالق ، وصانع الخلاص ، يعلن أنه مزمع أن يعيد خلقتنا كما فى

البداية ولكن خليقة روحية « **إن كان أحد فى المسيح يسوع فهو خليقة جديدة ...** » .

وهو إذ يذكّر إسرائيل أنه خالقه وجابله يُحيى فيه الرجاء والإيمان باقتدار الخالق الذى يستطيع كل شئ ولا يعسر عليه أمر ، وأنه يخرج من الآكل أُكلاً ، ويقيم الموتى من التراب ومن العدم .

ولكن ما هى بداية عطايا الخلاص... وبشارة الفرح...؟ اسمع صوته يقول : **لا تخف لأنى فديتك .**

« الذين كانوا كل زمانهم تحت العبودية بسبب الخوف » ، هكذا وصف الرسول بولس البشرية المعذبة الساقطة تحت عبودية إبليس بسبب الخوف ، وهكذا أيضاً وضع القديس يُوحنا الرائى الخوف على رأس القائمة المشئومة التى للهلاك « **أما الخائفون ... والزناة ... فنصيبهم فى البحيرة المتقدة بنار وكبريت الذى هو الموت الثانى** » .

فكان إذ صنع الرب الفداء أزال الخوف ، « **أنا هو لا تخافوا** » ، لا تخف لأنى فديتك ، فديتك من الموت بموتى ، ومن العبودية بأنى أخذت شكل العبد . فديتك بدمى وبذبيحة نفسى ، أصعدتُ من الجحيم نفسك بأن نزلت أنا إليه فديت من الحفرة حياتك ، فديتك من الهلاك الأبدى .

قد جاءت صيغة الكلام فى الماضى ، كأن الرب قد أتّم

القول وأكمل العمل ، أو كأنه أمر مقضىّ به قد خرج القول من فم الرب وهو لا بد متممه .

دعوتك باسمك :

الفداء عمل شخصى بحت ، والفدية تكون بالمبادلة ، إنسان بدل إنسان . بالفداء تدخل النفس فى رعية اللّه ، إذ يصير هو الراعى الصالح الذى يبذل نفسه عن الخراف ، وفى هذا يكمل قول المخلص « **خرافى تسمع صوتى ... وأنا أدعوها بأسماء** » . وهذا الاسم الجديد يعينه فم الرب ... تأمَّل كيف سمى الرب تلاميذه بأسماء !!

تأمل أيضاً كيف نادى الرب المجدلية فى فجر القيامة باسمها ... كأنه جديد ، فاستضاء عقلها بنور قيامته وبشكله المحيى وقالت « ربونى » .

أما الميراث السماوى فهو مرتبط بهذا الاسم ... فاسماء المفديين صارت مكتوبة فى سفر الحياة كما قال الرب للتلاميذ « **افرحوا أن اسماءكم مكتوبة فى السماوات** » ... ومن يغلب كما قال الرب « **سأعطيه حصاة بيضاء وعلى الحصاة اسم مكتوب لا يعرفه إلا الذى يأخذ** » .

أنت لى :

الخلاص معناه أن النفس دخلت فى ملكية اللّه ... فى

ملكوت الله . لقد اشترانا بدمه من كل أمة وقبيلة ولسان وشعب ... وجعلنا له ملوكاً وكهنة ... « **لأنكم قد اشتريتم بثمن ... فمجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى لله** » . لأنكم لستم لأنفسكم بل للذى مات لأجلكم وقام. ليس أحد منا يعيش لذاته ولا أحد يموت لذاته ... «**وقف بى ملاك الإله الذى أنا أعبده الذى أنا له** » .

لقد صرنا ملكه ، وهو ملك علينا بصليبه ، بجراحات حية التى أبقاها فى جسده بعد قيامته وإلى أبد الآبدين دلالة على أنه أحب خاصته إلى المنتهى .

عد ٢ - ٣ :

٢- إذا اجتزت فى المياه فأنا معك وفى الأنهار فلا تغمرك . إذا مشيت فى النار فلا تلذع واللهيب لا يحرقك .

٣- لأنى أنا الرب إلهك قدوس إسرائيل مخلصك .

قال المرنم فى المزمور **جزنا فى الماء والنار وأخرجتنا إلى الراحة** ... ، هذا المزمور يقال فى صلوات المعمودية المقدسة إذ أن المعمودية هى اجتياز الماء ونار الروح القدس ثم الخروج إلى الراحة الأبدية . فالمتكلم هنا هو الإله القدوس مخلص إسرائيل ، هو إله الخلاص .

والخلاص يتم باجتياز الماء والنار فى المعمودية التى هى موت المخلص وقيامته ، فنحن نعتمد للمسيح ونلبس

المسيح – لذلك قال إن اجتزت فى المياه فانا معك ... فهو قد اجتاز مياه الأردن ، اجتاز الموت ، وخرج إلى راحته كسابقٍ لأجلنا ، فنحن نموت معه ونقوم أيضاً معه ، وفى هذا يكمل كلام المزمور « **إن سرت فى وداى ظل الموت لا أخاف شراً لأنك أنت معى** » .

عد ٣ ، ٤ – ٨ :

٣– جعلت مصر فديتك ، كوش وسبا عوضك .

٤– إذ صرت عزيزاً فى عينىّ مكرماً وأنا قد أحببتك أعطى أناساً عوضك وشعوباً عوض نفسك .

٥– لا تخف فإنى معك . من المشرق آتى بنسلك ومن المغرب أجمعك .

٦– أقول للشمال أعط وللجنوب لا تمنع . ايت ببنىّ من بعيد وببناتى من أقصى الأرض .

٧– بكل من دُعى باسمى ولمجدى خلقته وجبلته وصنعته .

٨– أخرِج العشب الأعمى وله عيون والأصمّ وله آذان .

إذ قد أعلن الرب أن يخلص ، فلا يظن أحد أنه مخلص لشعب أو جنس أو لون ، حاشا إنه مخلص العالم... هكذا أحب اللّه العالم . فإسرائيل الجديد – يسوع المسيح – الذى جمع الكل فى نفسه بتجسده وموته عن العالم ، لا

تحده حدود ولا فوارق لا من جهة شعب أو جنس من أجناس الشعوب ... بل أن جسده الذى هو الكنيسة كائنة من أقصاء المكسونة إلى أقصاها ، وهو كما قيل فى الإنجيل يجمع ابناء اللّه المتفرقين إلى واحد .

تأمل الآيات عن أبناء اللّه ، من المشرق ، ومن المغرب ومن الشمال ومن الجنوب ، من كل جهات الأرض ، من كل قبيلة ولسان وشعب وهم نسل مختار ، وبنون وبنات... والذى يميزهم ويربطهم برباط الروح ...

١- اسم يسوع :

« **كل من دعى باسمى** » هذا الاسم المبارك ، لأنه ليس اسم آخر تحت' السماء أعطى بين الناس به ينبغى أن نخلص إلا اسم يسوع ... إذ ليس بأحد غيره الخلاص ...

٢- مجد المسيح :

نحن مخلوقين فى المسيح يسوع ، لأعمال صالحة سبق اللّه فاعدها لنا لكى نسلك فيها وهذا يمجد اسم فادينا . وقد تحولت حياة أولاد اللّه لتصير لمجده ... ليس أحد منا ليعيش لذاته ... حتى قيل « **إن كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئًا افعلوا كل شئ لمجد اللّه !!**

« **فيرى الناس أعمالكم الحسنة فيمجدوا أباكم الذى فى السموات** » .

هذه هى الكنيسة فى المسيح التى صارت عزيزة فى عينىْ الرب ومكرمة جداً وهى عروسه المحبوبة التى اقتناها بدمه، « **إذ صرتَ عزيزاً فى عينى مكرما وأنا قد أحببتك** » ، هذا صوت الآب لكل واحد منا فى المسيح يسوع .

وليلاحظ القارئ أن الرب إذ دعى الأمم من أطراف الأرض ليدخلوا إلى الإيمان وإلى حظيرة الراعى الصالح ، صار هذا رفضاً لليهود ... أى أن رفضهم صار مصالحة للأمم كما يقول الرسول ، وكيف كان هذا ، لقد أغلظت قلوبهم وطمست عيونهم فلم يقبلوا الذى جاء إلى خاصته، لذلك اسماهم الوحى « **الشعب الأعمى وله عيون والأصمَ وله آذان** » .

وهذا ما حدث بالتفصيل فى حوار جماعة الفريسيين مع الرب حين فتح عينى المولود أعمى إذ قالوا : ألعلنا نحن أيضاً عميان ؟ . فأجابهم الرب ... لو كنتم عمياناً لما كانت لكم خطية .

عدد ٩ – ١٣ :

٩– اجتمعوا يا كل الأمم معاً ولتلتئم القبائل . من منهم يخبر بهذا ويعلمنا بالأوليات . ليقدموا شهودهم ويتبرروا . أو ليسمعوا فيقولوا صدق .

١٠- أنتم شهودى يقول الرب وعبدى الذى اخترته لكى تعرفوا وتؤمنوا بى وتفهموا أنى أنا هو . قبلى لم يُصوّر إله وبعدى لا يكون .

١١- أنا أنا الرب وليس غيرى مخلص .

١٢- أنا أخبرت وخلصت وأعلمت وليس بينكم غريب . وأنتم شهودى يقول الرب وأنا الله .

١٣- أيضاً من اليوم أنا هو ولا منقذ من يدى . أفعل ومن يرد .

إن الكنيسة كأعضاء جسد المسيح التى جمعها واقتناها لنفسه بنين وتلاميذ من أقاصى المسكونة ومن الشتات ، هم شهوده إلىُ جيل الأجيال كما قال « تكونون لى شهوداً» ، فنحن نبشر بموت الرب ونعترف بقيامته وغلبته على الموت وصعوده إلى السماء إلى مجئ الرب .

وكما قال الرب أيضاً كما أرسلنى الآب أرسلكم أنا ، فالمسيح شهد للآب ومجّده وكذلك نحن أيضاً بالمسيح صرنا شهوده ، وهذه الشهادة ترتكز على ثلاثة أفعال :

١- تعرفوا ٢- تؤمنوا ٣- تفهموا .

وهذه الأفعال تتجه نحو « **أنا هو** » ، كم من مرّةٍ قال المسيح أنا هو ... ولكن أخطأته آذان [illegible] عيون

الناظرين إذ كانت لهم عيون ولكن لا ترى وآذان ولكنها لا تسمع .

وهذه الكلمة « **أنا هو** » يعلمها اليهود جيداً أنها خاصة بالرب الإله لا غيره ، كلمة قاصرة عليه معبرة عن ذاته الإلهيه ولاهوته السرمدى وقدرته غير الموصوفه .

أنا الرب وليس غيرى مخلص ...

هنا يلزمنا للشهادة أن نعود إلى الثلاثة أفعال : «**لتعرفوا . وتؤمنوا . وتفهموا** » .

١- المعرفة :

يلزمنا أن نقول مع الرسول « **لأعرفه** » ، وندرك محبة المسيح الفائقة المعرفة ، إنها ليست معرفة العقل والعلم ، بل هى معرفة الحق « **تعرفون الحق والحق يحرركم** » . فاليهود قالوا « **أليس هذا هو يسوع بن يوسف الذى نحن عارفون بأبيه وأمه** » ... فقال لهم الرب تعرفوننى ... ثم تكلم عن إرساليته من عند الآب وتتميم إرادته ، وقال لو كنتم عرفتمونى لعرفتم أبى أيضاً ، ثم صار واضحاً أنهم ماعرفوه ولا عرفوا الآب .

من ثم يلزم هذا النوع الفائق للمعرفة ، معرفة الرب بالروح ومعرفة الإعلان والرؤية ومعرفة القرب والحب وحفظ الوصايا .

٢- ثم ياتى الإيمان :

أنا عارف بمن آمنت ، ما أبدعها عبارة ... فالإيمان يأتى من ثقة المعرفة والتعرف ، وجدنا الذى كتب عنه موسى والأنبياء وأن أردت أن تؤمن « **تعال وأنظر** » ، وإذا تعرفت عليه قل مع من رآه وتعرف عليه « **ربى وإلهى** » يا سيد أنت ابن اللّه أنت ملك إسرائيل .

٣- ثم فى مرحلة ما بعد الإيمان يصير الفهم :

والفهم والتمييز الروحى لإدراك مقاصد اللّه وتمييز مشيئته ، وهذا هو ارتفاع العقل بالحكمة النازلة من فوق... وهذا يعلو كل ارتفاع .

أنا أخبرت وخلصت وأعلمت . جاء وبشرنا بالسلام نحن القريبين والبعيدين ، وجعل الاثنين واحداً وصالح الاثنين فى جسد واحد ، وقتل العداوة بالصليب ، لذلك قال الوحى **أنا أخبرت** ، كما قيل فى المزمور أخبر باسمك أخوتى وفى وسط الكنيسة أسبحك ... فإذ قد صرنا اخوة ، فلم يعد بيننا غريب ، أنتم الذين كنتم قبلا ظلمة أما الآن فنور فى الرب ...

وإذ صرنا أعضاء جسده من لحمه ومن عظامه فلم يعد عضو فى الجسد غريباً عن الآخر ، إذ فى المسيح يسوع

ليس عبد وحرٌ ، بربرى وسكّيثى ، ختان وغرلة ، رجل أو إمرأة ... بل المسيح الكل فى الكل .

عدد ١٤ - ١٧ :

١٤ - هكذا يقول الرب فاديكم قدوس إسرائيل . لأجلكم أرسلت إلى بابل وألقيت المغاليق كلها والكلدانيين فى سفن ترنمهم .

١٥ - أنا الرب قدوسكم خالق إسرائيل ملككم .

١٦ - هكذا يقول الرب الجاعل فى البحر طريقاً وفى المياه القوية مسلكاً .

١٧ - المخرج المركبة والفرس الجيش والعز . يضطجعون معاً لا يقومون . قد خمدوا . كفتيلة انطفأوا.

ما أرهب قصة الخلاص وما أروع تفاصيلها كلما ذكرت، وهى كائنة بعد فى الرموز التى هى شبه السماويات ، فقصة الخلاص من أرض مصر ... فرعون ومركباته وفرسانه ومياة البحر الأحمر ، من ينساها ... إنها أمور تظل جديدة مهما طال الزمن ، أنها أكبر من الزمن ...

فما بالك وعمل الفداء الذى عمله الرب على الصليب ، وقوة دمه الإلهى وموته المحيى ، كيف داس الموت بالموت

وأظهر لنا الحياة والخلود وفك المسبين ليس فى أرض مصر وكور الحديد بل فى سجن الجحيم وقبضة قوات الظلمة ، ولم يعبر بالمفديين بحر ماء ، بل عبر بهم إلى شاطئ الحياة الأبدية ، بالحق ترنموا قائلين يمينك يارب معتزة بالقوة ... من مثلك بين الآلهه .

استمع إذن إلى كلمات النبوة فى هذه الآيات حيث المتكلم بالبر هو قدوس إسرائيل الفادى ، والملك بأنٍ واحد:

الجاعل فى البحر طريقاً وفى المياه القوية مسلكاً ، التى هى رمز الموت . كيف عبر بنا الموت وداسه وجعل جسده طريقاً يدخل بنا إلى ما داخل الحجاب إلى موضع قدس الأقداس الموضع الذى لا يدخل إليه ذو طبيعة بشرية .

أما العدو - فرعون - ففى القديم كيف تحطم ... وأما فرعون العقلى روح الظلمة وكل جنوده ، فهذا قول المخلص عنهم « **يضطجعون معاً ، لا يقومون قد خمدوا كفتيلة انطفأوا** » . ما أعظم جودك يا اللّه الذى ادخرته لمختاريك وما أمجد قوتك وجبرؤوتك ... يمينك معتزة بالقوة ... يمينك يارب حطمت العدو .

عدد ١٨ -٢١ :

١٨- لا تذكروا الأوليات . والقديمات لا تتأملوا بها .

١٩ – هأنذا صانع أمراً جديداً . الآن ينبت . ألا تعرفونه؟ أجعل فى البرية طريقاً فى القفر أنهاراً .

٢٠ – يمجدنى حيوان الصحراء الذئاب وبنات النعام لأنى جعلت فى البرية ماءً أنهاراً فى القفر لأسقى شعبى مختارى .

٢١ – هذا الشعب جبلته لنفسى . يحدث بتسبيحى .

إن الرموز مهما بلغت من إتقان لا ترقى إلى كمال الحقيقة بأى حال ، إذ تظل على حالها من الشبه والظلال ومتى جاء الكمال اختفت الظلال ...

هذا هو الحال مع قصة الخلاص ، فالرب يقول إنه صانع أمراً جديداً ... بحيث لا تذكر إلى جانبه قصص الخلاص القديمة التى انطوت على شبه السماويات وظل الأمور العتيدة .

فمن يضع حية النحاس التى رفعها موسى فى البرية التى شفت من سم موت الجسد إلى حين ، يضعها جنباً إلى جنب مع صليب المسيح ابن اللّه الذى كل من يؤمن به ينال الحياة الأبدية وينجو من الهلاك الأبدى ، فالبْون بينهما شاسع والفرق بينهما كما علت السماء عن الأرض فالاولى تحمل الرمز ، الشبه والظل ، وصليب المسيح هو هو الحق ، وهو قوة اللّه ...

البرية والقفر فى القديم عبرهما الشعب المختار على أنهما رمز لحقيقة هذا العالم الحاضر الذى هو من جهة الروح مقفر مجدب ، وقد أجاز الرب مختاريه فى القديم وسيرهم فى طريق لم يعرفوها . والطريق فى عهد النعمة هو المسيح بذاته « **أنا هو الطريق** » .

وقد روى الرب شعبه فى البرية القديمة بالماء من الصخرة والصخرة كانت تتبعهم والصخرة كانت المسيح بحسب تعبير القديس بولس الرسول (١كو١٠) . فالخلاص هو الطريق ، وهو أنهار الماء فى البرية وهذه هى آية المسيحية العظمى ، أنه فى هذا العالم المقفر تجرى أنهار ماء الروح القدس لتروى مختارى الله « **لتسقى شعبى مختارى** » . وهذه هى ذات التسمية التى يدعو بها المسيح أخصاءه فى مجئيه الثانى المخوف « **يجمع مختاريه** » ، وكذا الرسول بولس يقول « **البسوا كمختارى الله المحبوبين ...** » .

فالأنهار هى أنهار الروح القدس فى المعمودية والأفخارستيا حيث جرى من جنب المسيح دم وماء .

هذا الشعب جبلته لنفسى يحدث بتسبيحى ...

فنحن مخلوقين فى المسيح يسوع . لمجد الله ، لذاته فى بنى آدم (الثانى) ، وعملنا الرئيسى هو التسبيح والحمد ، وهذا هو عمل الخليقة الجديدة إذ يشتركون مع

السمائيين في الحمد والتسبيح « **فلنسبح مع الملائكة** »
أعطيت الذين هم على الأرض تسبيح السيرافيم (من القداس الإلهى) .

عدد ٢٢ – ٢٥ :

٢٢– وأنت لم تدعنى يا يعقوب حتى تتعب من أجلى يا إسرائيل .

٢٣– لم تحضر لى شاة محرقتك وبذبائحك لم تكرمنى. لم أستخدمك بتقدمةٍ ولا أتعبتك بلبانٍ .

٢٤– لم تشتر لى بفضة قصباً وبشحم ذبائحك لم ترْوِنى . لكن استخدمتنى بخطاياك وأتعبتنى بآثامك .

٢٥– أنا أنا هو الماحى ذنوبك لأجل نفسى وخطاياك لا أذكرها .

آفة الانسان العظمى أن ينسب عمل الخلاص لنفسه ويقول يدىّ خلصت لى ، ويُرجع المجد إلى ذاته وينسى نفسه وينسى مخلصه .

لذلك وجد الروح أنه بين الحين والآخر يجب تذكير الانسان بحقيقة نفسه ، وبعمل الله لكى يحفظ الانسان فى الاتضاع وينجيه من شر الكبرياء . وهنا يقول جابل إسرائيل وفاديه ومخلصه ، سواء ما كان قد حدث الذى هو مثال الآتى ... أو سواء للنفس فى المسيح يسوع فى

الجديد ... على أى الأحوال فإن إرجاع الفضل إلى صاحبه أمر واجب ، أنت لم تدعنى يا إسرائيل... بل أنا دعوتك .

ما أجمل كلمات القديس يوحنا الحبيب « **لسنا أننا قد احببنا اللّه بل هو أحبنا أولاً** » .

فهو الذى دعانا بنعمته للمجد والفضيلة ، وصرنا شركاء الدعوة السماوية ودعانا من الظلمة إلى نوره العجيب ، ودعانا أولاده « **لا أعود أسميكم عبيداً** ، ودعانا خواصّه ، ودعانا إلى حفل عشاء الخروف ...

أما نحن فمن نحن ؟ هو الذى اختارنا قبل تاسيس العالم ، هو البادئ دائماً وهو صاحب الفضل أبداً .

هذا من جهه الدعوة ، والاختيار . أما من جهة الأتعاب فمن تعب من أجل الآخر ؟ اسأل الإنجيل فيحدثك كيف تعب من أجلنا واحتمل العار مستهيناً بالخزى من المذود حتى إلى الصليب ، « **كراع صالح سعيت فى طلب الضال كأب حقيقى تعبت معى أنا الذى سقط** » ، لا توجد أصدق من هذه الكلمات التى نطق بها القديس غريغوريوس الناطق بالألهيات .

أما من جهة الذبائح أو المحرقات فهل الرب محتاج إليها ؟

أما من جهة العشور والتقدمات فمن أين للانسان أصلاً مال ليعطى أليس من يد الرب الجميع ؟

ما أفقر الانسان الذى يولد عريانا وإلى التراب يرجع عريانا ، أما الرب فهو ينبوع النعمة والعطاء والغفران ومحو الذنوب ، من أجل اسمه يفعل ومن اجل أنه يتمجد فى العطاء يعطى . فيجب أن نرجع الفضل إلى صاحب الفضل ونعرف قيمة التعب الذى تعبه مخلصنا الذى قيل عنه « **من تعب نفسه يرى ويشبع** » ... لأن تعبه على الصليب هو بذاته غفران الخطايا ومحو الآثام والذنوب .

٢٦ – ذكّرنى فنتحاكم معا . حدّث لكى تتبرر

٢٧ – أبوك الأول أخطأ ووسطاؤك عصوا علىّ .

حاشا يارب من يستطيع أن يثبت أن أخذت بالآثام وإن حاكمت فكل فم يستد ولا يستطيع الكلام ... لكى تتبرر فى أحكامك يارب لأن أحكامك حق وعدل معاً ، العدل والبر قوام كرسى مجدك ، قضيب الأستقامة هو قضيب ملكك . أما نحن فمع دانيال ونحميا نقول أخطأنا وأسأنا... أنا وبيت أبى ... هذا هو استحقاقنا ولكن رحمتك تدركنا مدى الأيام وإلى انقضاء الدهر ، ولا تسمح أن يقال ثانية : « **فدنّست رؤساء القدس ودفعت يعقوب إلى اللعن وإسرائيل إلى الشتائم** » ... لا تسلمنا ولا تتخلى عنا لأننا لا نعرف آخر سواك .

❖ ❖ ❖

اشعياء ٤٤

عدد ١ – ٥ :

١– والآن اسمع يا يعقوب عبدى وإسرائيل الذى اخترته .
٢–هكذا يقول الرب صانعك وجابلك من الرحم معينك.
لا تخف يا عبدى يعقوب ويا يشورون الذى اخترته .
٣– لأنـــى أسكب ماءً على العطشان وسيولاً على اليابسة . أسكب روحى على نسلك وبركتى على ذريتك .
٤–فينبتون بين العشب مثل الصفصاف على مجارى المياه.
٥– هذا يقول أنا للرب وهذا يُكنّى باسم يعقوب وهذا يكتب بيده للرب وباسم إسرائيل يلقب .

ملامح زمن المسيا وبركات العهد الجديد :

الرب ينبه الأذن الروحية للذين هم مدعوون بحسب قصده للميراث الأبدى والتمتع ببركات خلاص المسيح قائلاً : **والآن إسمع يا يعقوب** ، فالآن هو أوان الخلاص ، الزمن المقبول ، الذى هو ملء الزمان ... الذى صار حاضراً لنا ، الذى يمكن أن تدركه النفوس المختارة فى كل زمان ... إذ يصح أن تقال هذه الكلمة (الآن) لجميع الأجيال لأن المسيح المخلص هو غير الزمنى ... هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد فخلاصه غير قاصر على زمن ، فهو مخلص أزلى أبدى لا بداية أيام له ولا نهاية حياة .

فما دام وقتنا حاضراً ويدعى اليوم ، يصير هو يوم خلاص إن لم نمهل نحن أمر خلاصنا . وهو حينما يكلمنا فى ابنه يسوع المسيح يقول : **والآن إسمع**... وبداية البدايات هى أن يميل الانسان أذنه الروحية ويسمع : « **من له أذنان للسمع فليسمع** .. » . أنى اسمع ما يتكلم به الرب الإله . طوبى لآذانكم لأنها تسمع ... لأن ملوكاً وانبياء كثيرون اشتهوا أن يسمعوا ما أنتم تسمعون فلم يسمعوا ... هذا ما نقوله فى الكنيسة كلما قرئ الإنجيل منبهين الآذان الروحية للسماع .

أما أولى بركات الخلاص فهى السلام ... لا تخف. وهى عطية اللّه ، وعطية القيامة ... سلام لكم ... وحينما أعطاها المسيح للتلاميذ تبدد الخوف ، وهكذا صار للكنيسة فى كل أجيالها ... « **أما الكنائس فكان لها سلام** » (**لا تخف ... لأنى أسكب ماءً على العطشان**) .

أما سبب السلام فى القلب فهو انسكاب الروح القدس فى داخل القلب ، وهذا ما وعد به المسيح : « **من آمن بى كما قال الكتاب تجرى من بطنه أنهار ماء حى** ... قال هذا عن الروح القدس » ... وهذا ما حققه المسيح بسكب موعد الآب ، الروح المعزى مثل ألسنة نار ، فصار ماء الروح سبب ارتواء للعطاش وشبع للسائرين فى برية هذا العالم .

أسكب روحى على نسلك وبركتى على ذريتك . هذا ما

قاله بالروح يوئيل النبى : « إنى أسكب من روحى على كل بشر » ، وهذا ما ذكره واستشهد به القديس بطرس الرسول فى يوم الخمسين يوم سكيب الروح القدس مثل ألسنة نار .

والسكب يكون للماء ، والماء يجرى دائماً إلى المنحدرات، فالروح القدس يرتاح للقلوب المتواضعة . والماء لرى العطاش ، والروح القدس لا يروى سوى النفوس التى تشتاق إليه كما العطشى إلى مجارى المياه ، **« يا الله إلهى إليك ابكر لأن نفسى عطشت إليك ... صارت لك نفسى مثل أرض عديمة المياه »** .

أما بنو الروح ... فيتنبأ عنهم قائلاً : **أنهم ينبتون بين العشب مثل الصفصاف على مجارى المياه** .

فهم ينبتون ... لأنهم زرع مقدس مثل غروس الزيتون الجدد ، المولود من اللّه زرعه يثبت فيه ، وهم ينبتون بين العشب ، والعشب هم أولاد هذا الدهر ... أبناء العالم ينبتون كالعشب سريعاً ويزول مجدهم كزهر العشب كقول الرسول . أما أولاد اللّه فهم كالشجر ، شجرة مغروسة على مجارى المياه (الروح القدس) يصنعون ثمر (الروح) فى حينه ، وورقها لا ينتثر فهى دائمة الخضرة .

أما ما يميز أولاد اللّه فهو انتسابهم إليه ... فهم يدعون باسمه .. وهم معتبرون أعضاء جسد المسيح إسرائيل

الجديد الروحي « تدعين باسم جديد يعينه فم الرب » . فإنهم ليسوا لأنفسهم بل للذي مات لأجلهم وقام... وهو كتب اسمه علينا ، على جباهنا « لهم اسم الله على جباههم » أى محفور فى فكرنا كختم حياة أبدية .

عدد ٦ – ٨ :

٦ – هكذا يقول الرب ملك إسرائيل وفاديه رب الجنود . أنا الأول وأنا الآخر ولا إله غيرى .

٧ – ومن مثلى ينادى فليخبر به ويعرضه لى منذ وضعت الشعب القديم . والمستقبلات وما سيأتى فيخبروهم بها .

٨ – لا ترتعبوا ولا ترتاعوا ، أما أعلمتك منذ القديم وأخبرتك فأنتم شهودى . هل يوجد إله غيرى . ولا صخرة . لا أعلم بها .

هنا يشهد الروح القدس للفادى والمخلص ، أنه رب الجنود وأنه وإن وُجد فى الهيئة كإنسان وأخلى ذاته ، إلا أنه الألف والياء البداية والنهاية الأول والآخر كما أعلن أيضاً فى سفر الرؤيا ولا إله غيره ، إذ ليس اسم آخر تحت السماء أعطى بين الناس به ينبغى أن نخلص إلا اسم يسوع ... إذ ليس بأحد غيره الخلاص . فهو أزلى قبل الدهور قبل خلقة الشعب فى القديم ، وهو أبدى لا نهاية أيام له .

لا ترتعبوا ولا ترتاعوا ... هكذا قال الرب يسوع: لا تضطرب قلوبكم ولا ترهب أنتم تؤمنون بالآب فآمنوا بى... فطريق السلام هو الرب يسوع ، وهو الإيمان بإسمه.

والرسول بولس ينبه أذهان المؤمنين بيسوع بعد أن قبلوا الإيمان وآمنوا بالكرازة ، ألا يضطربوا ولا يرتاعوا لا بروح ولا برسالة ولا يكون خوف من المستقبل إذ أنهم ينتظرون مجئ المخلص ثانية من السماء بكامل الطمأنينة وعدم الاضطراب وما أسعد هذا النصيب لمنتظرى الرب بلاخوف !

أنتم شهودى ... هذا هو عمل المؤمنين باسمه كما أوصاهم قائلاً « تكونون لى شهوداً » المسيح هو صخر الدهور ولا إله ولا ملجأ ولا رجاء لمن يطلب غيره .

عدد ٩ - ١١ :

٩- الذين يصورون صنمًا كلهم باطل ومشتهياتهم لا تنفع وشهودهم هى . لا تبصر ولا تعرف حتى تخزى .

١٠- من صور إلها وسبك صنمًا بغير نفع !!

١١- ها كل أصحابه يخزون والصناع هم من الناس . يجتمعون كلهم يقفون يرتعبون ويخزون معاً .

إذا لم تتبع النفس مخلصها وفاديها ، ماذا يكون مصيرها وفى أى السبل تسلك وإلى أى منتهى تصير ؟

ماذا إذا ضلت النفس فلم تتبع الحق ؟ أنها بالضرورة تصير فى الباطل .

ماذا إذا لم تسر فى النور ؟ لابد أن يدركها الظلام .

وهذا ما يريد الوحى أن يعلنه بجلاء ووضوح فى هذه الأعداد وما يليها . ولك أن تسأل من أين أتت عبادة الأوثان بكل صورها فى الماضى والحاضر ؟

من عدم إدراك النفس لعمل الخلاص وعدم تمتعها بتبعية المخلص وشركتها فيه ، وهى والحال هذه فإنها تتبع هواها ، أهوائها وتصوراتها . وماذا تلد لها مخيلتها ؟ صنماً لتتعبد له ... يا للخسارة الفادحة !

اللذين يصورون صنماً .

هو ينبع أولاً فى مخادع التصاوير كما أعلن الرب لحزقيا النبى فى إحدى الرؤى فى مخادع تصاوير الانسان يتشكل صنمه الذى يهواه ومعبوده الذى يسجد له ويخضع بإرادته منحنياً . وهو فى القديم صنمًا لا يرى ولا يسمع ، فعابد الصنم لا يريد الإله الذى يرى ويكشف أعماق القلب ومخادع التصاوير ، ولا يرغب فى الإله الذى يسمع دقات القلب وما يقال فى المخادع ... إنه نوع من الهرب من الله .

مشتهياتهم ... وشهودهم هى .

إن وراء الصنم تكمن الذات ، أليس أن الإنسان هو الذى

يصنعها وفيها يرى إبداعه مى التصور وهو الذى يضفى عليها مجداً من عمل يديه فتتعظم ذاته فى عينيه !!

إن هذا ينطبق تماماً على الأصنام الكثيرة فى أشكالها المتطورة التى يتعبد لها الناس ، هى من صنع الناس وهم اشتهوها فصارت لهم آلهة !!

ولكنها للخزى « يخزى الساجدون لصنعة الأيادى » هكذا مكتوب فى المزمور .

عدد ١٢ – ١٧ :

١٢ – طبع الحديد قدوماً وعمل فى الفحم وبالمطارق يُصَوِّره فيصنعه بذراع قوته ، يجوع أيضاً فليس له قوة . لم يشرب ماءً وقد تعب .

١٣ – نجّر خشباً . مدّ الخيط . بالمخرز يُعلِّمه يصنعه بالأزاميل وبالدَوَّارة يرسمه فيصنعه كشبه رجلٍ كجمال إنسان ليسكن فى البيت .

١٤ – قطع لنفسه أرزاً وأخذ سنديانًا وبلوطًا واختار لنفسه من أشجار الوعر . غرس سنوبراً والمطر ينميه .

١٥ – فيصير للناس للإيقاد . ويأخذ منه ويتدفأ يُشعل أيضاً ويخبز خبزاً . ثم يصنع إلهًا فيسجد . قد صنعه صنمًا وخرّ له .

١٦ – نصفه أحرقه بالنار . على نصفه يأكل لحمًا .

يشوى مشوياً ويشبع . يتدفأ أيضاً ويقول « بخ قد تدفأت رأيت ناراً .

١٧- وبقيته قد صنعها إلهًا صنماً لنفسه . يخر ويسجد ويصلى إليه ويقول نجنى لأنك أنت إلهى » .

أما الآلات البدائية التى يوردها الوحى فى صنع الأصنام، فهى كانت قمة المعرفة فى ذلك الزمان ، أما وقد ازدادت المعرفة وتطورت إلى الحال الذى نراه اليوم فى العالم ، فقد اتخذت الأصنام أشكالاً متطورة جداً ، وصار الناس يتعبدون لصنعة أيديهم ومخترعات تصويرهم ، فاختلفت أنواع الأصنام ولكن مضمونها واحد عبر الأزمنة. وباختصار إن تأملت هذه الأعداد ، فقد كرّس الانسان جهده وإمكانياته ليخترع له معبوداً ، بل لقد بذل الانسان كل قوته حتى ضيق على نفسه بالجوع والعطش ليصل إلى مراده .

ولكن للحكيم أن يتأمل كيف أن من ذات المادة يحرق ليتدفأ ويحرق ليصنع طعاماً ، ومن ذات المادة يصنع صنماً ، كيف لا يتأمل فساد المادة ، وفناءها . كيف تُحرق بالنار فلا تكون . وعلى الرغم من ذلك فهو يمجدها ويُخضع إرادته لها ... يا للأسف !

ومازال الإنسان ، رغم تحققه من زوال العالم ومعرفته

أنه باطل الأباطيل الكل باطل وقبض الريح ، ورغم كل الخبرات التى مرت على الانسان وكل ما كتب عن فناء كل شئ ، على الرغم من ذلك مازال الانسان منجذباً إلى العالم متعبداً للأركان الضعيفة ، صانعاً أصناماً متعددة الأشكال .

عدد ١٨ - ٢٠ :

١٨- لا يعرفون ولا يفهمون لأنه قد طمست عيونهم عن الإبصار وقلوبهم عن التعقل .

١٩- ولا يردد فى قلبه وليس له معرفة ولا فهم حتى يقول نصفه قد أحرقت بالنار وخبزت أيضاً على جمره جبزاً شويت لحماً وأكلت . أفأصنع بقيته رجساً ولساق شجرة أخر .

٢٠- يرعى رماداً . قلب مخدوع قد أضله فلا ينجى نفسه ولا يقول أليس كذب فى يمينى .

هكذا يصف الروح حال الانسان المسكين إذا انطرح إلى التعبد لما هو زائل !! لا معرفة ولا فهم ، والعين قد انطمس نورها والقلب قد غشيته ظلمة مدلهمة .

ولكن الروح يشير إلى عنصر الخداع ، فالقلب الذاهب وراء الأباطيل هو قلب مخدوع مضلل . والشيطان عدو الخير يستخدم هذا السلاح القتال إذ هو الكذاب وأبو الكذاب . والخداع يعنى غياب الحق ، وهذا هو الظلام بعينه

فينخدع الانسان بظواهر الأمور فلا يراها على حقيقتها .

سل الذين ذهبوا وراء الأموال والممتلكات ولم يتحققوا زوالها بل انخدعوا وتعبدوا لها « **لا يقدر أحد أن يعبد ربين الله والمال** » .

ماذا كانت النهاية ، عندما اكتشفوا أنها باطل الأباطيل وقبض الريح ؟ سل الذى أخصبت كورته وظن أن له خيرات كثيرة موضوعة لسنين عديدة ، كيف صار حاله إذ سمع صوت الذى يقول : « يا غبى الليلة تؤخذ نفسك منك والذى أعددته لمن يكون ؟ » .

يا للحسرة والخوف والندم والحزن الذى لا ينتهى !! سل الذين ذهبوا وراء الجسد والشهوات وصنعوا من الأجساد أصناماً لعبادة الناس وكرامة الناس وانحدروا يسجدون للشهوات ويصرفون العمر تحت نيرها ... كيف انتهى زمن المجون إلى الشقاء والتعاسة إذ ذبل جمال الجسد وسقط زهر العشب .

يا للعمى الذى أصاب البصر والبصيرة معاً .

٢١ – أذكر هذه يا يعقوب . يا إسرائيل فإنك أنت عبدى . قد جبلتك . عبد لى أنت . يا إسرائيل لا تُنسى منى .

ما أجمل أن يذكر الرب أولاده فيذكرونه ، ويفتح ذهنهم فيدركوا الذى من أجله أدركهم المسيح ، فإن أكتشف

إسرائيل ضلال عبدة الأوثان وتفاهة معتقداتهم وبوار حياتهم إذ هم ذاهبون وراء الكذب وكيف هم مضللون مساكين ساجدون لصنعة أيديهم ، إذ يدرك كل هذا لابد إذن أن يشكر اللّه من أجل صلاحه وأعماله ويدرك مقدار النعم التى يتمتع بها فلا ينساها أو يهملها أو يغر من الأشرار . فالذى يطلع على حياة العائشين فى السجون ، فى الظلام ، فى العبودية والقسوة ، كم يشكر اللّه من أجل ما يحياه فى الحرية والنور .

هكذا إذ كشف الرب أمام إسرائيل ضلال عبادة الأوثان، عاد يقول اذكر هذه يا إسرائيل فإنك أنت عبدى أنا ولست مستعبداً لغيرى ، اذكر اننى اخترتك ، اذكر أننى دعوتك باسمك ، اذكر أننى فديتك ، اذكر اننى أنرت عليك وانت جالس فى الظلمة وظلال الموت . اذكر اننى لا انساك « لا تُنسى منى » حتى إن نسيت الأم رضيعها . لذلك لا تنس الرب إلهك ، لا تنسَ مراحمه واختياره ومحبته ولطفه وإحسانه ، وحينما تدرك هذا فلترتل مع المرنم «باركى يا نفسى الرب ... ولا تنسى كل حسناته » .

٢٢- قد محوت كغيم ذنوبك وكسحابة خطاياك . ارجع إلىَّ لأنى فديتك .

٢٣- ترنمى أيتها السموات لأن الرب قد فعل . اهتفى يا أسافل الأرض أشيدى أيتها الجبال ترنماً الوعر وكل شجرة

فيه لأن الرب قد فدى يعقوب وفى إسرائيل تمجد .

يعد إحساناً فائقاً هذا الصنيع إذ قد فدى الرب نفوس عبيده من ضلالة الأوثان والسعى الباطل وراء قبض الريح .

وها الرب يعدد بركات الخلاص المذخرة لنا :

أ- غفران الخطايا والذنوب .

محاها الرب كسحابة الصيف ، انقشعت فلا تكون .

عندما أشرق شمس البر - يسوع المسيح - بدد سحاب الخطايا في يوم صليبه ، قيل أن نور الشمس يكون سبعة أضعاف ، فكيف يثبت السحاب أمام هذه النار الملتهبة ؟

ب- الرجوع إلى الفادى « **ارجع إلىّ لأنى فديتك** » .

فمن بركات الخلاص ما سجله المزمور « **يرد نفسى يهدينى إلى سبل البر من أجل اسمه** » .

فالفادى هو الذى ينادى قائلاً : أرجع إلىّ ... ، **تعالوا إلى يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال ... من يقبل إلىّ لا اخرجه خارجًا** ... من هو عطشان فليقبل إلىّ ... الروح والعروس يقولان تعال ...

فقد فتح باب التوبة ، لما فتح أحضانه وهو ممدد على الصليب جاذباً إليه كل أحد .

جـ- الترنم والتسبيح : « **ترنمى أيتها السماوات ... اهتفى يا أسافل الأرض** » .

التسبيح هو الثمرة الطبيعية للذين نالوا الخلاص ... كما فعل الرب فى أيام موسى حين خلّص شعبه من عبودية فرعون . ماذا جرى على الشاطئ الآخر من معمودية البحر الأحمر ، كيف رقصت النسوة حول مريم النبية ، المتنبئة ببركات الخلاص وكيف سبح بنو إسرائيل مع موسى الذى عمدهم فى السحابة والبحر .

عندما تذوق النفس نعمة الخلاص ينفجر التسبيح فى السماء والأرض ، وحتى شجر الوعر والقفار ، إذ يكون الروح قد غمرها كجداول المياه .

عدد ٢٤ - ٢٨ :

٢٤- هكذا يقول الرب فاديك وجابلك من البطن . أنا الرب صانع كل شئ ناشر السموات وحدى باسط الأرض. من معى .

٢٥- مبطِل آيات المخادعين ومحمق العرافين . مرجِع الحكماء إلى الوراء ومجهِّل معرفتهم .

٢٦- مقيم كلمة عبده ومتمم رأى رسله . القائل عن أورشليم ستعمر ولمدن يهوذا ستُبنين وخِربَها أقيم .

٢٧- القائل للجَّة انشفى وانهارك أجفف .

٢٨- القائل عن كورش راعىّ فكل مسرّتى يتمّم ويقول عن أورشليم ستُبنى وللهيكل ستؤسّس .

هكذا يختتم إشعياء نبوّات هذا الاصحاح بمواعيد اللّه الصادقة نحو بناء أورشليم الجديدة (الكنيسة) وتأسيس هيكلها الذى صار مسكناً للروح القدس فى يوم الخمسين. ومن جهة مواعيد اللّه ، تطمئن نفوس المؤمنين الذين يعرفون صدق المواعيد التى تزول دونها السموات والأرض .

فالرب مقيم ومتمم ، بصيغة الحاضر وليس بصيغة المستقبل ، وكأن الأمر ببناء أورشليم وتأسيس هيكلها لم يعد مستقبلاً للانتظار والرجاء بل صار واقعاً مؤكداً . فاللّه ليس عنده ماض ومستقبل بل الكل حاضر فيه إذ هو غير الزمنى .

هكذا تصير مواعيد اللّه ، حاضرة ويقينية لدى أولاد اللّه حتى ولو لم يكتمل زمان ظهورها بعد . فأورشليم ستبنى ، ليس بحجارة مادية ، بل بحجارة حية ، والهيكل سيؤسس ، على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية . ليس كما كان الهيكل الأول بكل زينته المادية ، لأن الرب يسوع شهد قائلاً : انقضوا هذا الهيكل وانا فى ثلاثة أيام اقيمه . وقد أتم المسيح وعده حينما قام من الأموات ناقضا أوجاع الموت والهيكل الجديد

المقام صار هو جسده الذى هو الكنيسة التى بناها على الصخرة « **على هذه الصخرة ابنى كنيستى وأبواب الجحيم لن تقوى عليها** » .

وقد تكلم الرب عن ذلك الرجل كورش الملك الوثنى ، الذى استخدمه كآلة لبناء أورشليم فى ذلك الزمان ، الذى صار رمزاً للمسيح البانى الكل ... تكلم الرب عنه منادياً إياه بهذا اللقب العجيب « راعىّ » إذ هو متمم مسرته وعامل مشيئته ...

فإن كان اللّه قد سخر قديماً ذلك الملك الوثنى ليأخذ شكل البانى أورشليم ومؤسس هيكلها صانعاً إرادته ومكملاً مسرته ، فماذا يقال عن ابن الآب بالحق والمحبة ربنا يسوع المسيح الذى صار موضوع سرور الآب « **ابنى حبيبى الذى به سررت** » إذ وهو لابس طبع البشر أكمل سرور الآب وكمل مشيئته بكمال مطلق حتى إلى الصليب .

هكذا كمل لنا ربنا بالمسيح كل المواعيد العظمى والثمينة ، ليس من جهة بنيان مدينة أو هيكل بل من جهة بنيان ملكوت لا يفنى ، إذ صرنا مبنيين فيه كحجارة حية بيتاً روحياً كهنوتاً مقدساً لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند اللّه بيسوع المسيح .



إشعياء ٤٥

عدد ١ - ٣ :

١- هكذا يقول الرب لمسيحه لكورش الذى أمسكت بيمينه لأدوس أمامه أمماً وأحقاء ملوك أحل لأفتح أمامه المصراعين والأبواب لا تغلق .

٢- أنا اسير قدامك والهضاب أمهد . أكسر مصراعى النحاس ومغاليق الحديد أقصف .

٣- وأعطيك ذخائر الظلمة وكنوز المخابئ لكى تعرف أنى أنا الرب الذى يدعوك باسمك إله إسرائيل .

كورش ملك فارس - رجل وثنى - وجد فيه الرب الإله آلة طيعة لتنفيذ إرادته وتتميم مقاصده الإلهية ، فأيّده بقوة وآزره بطريقة فريدة « **أمسكت بيمينه** » . لكى فيما يمين كورش تعمل تكون يد الرب الإله هى العاملة والمحركة لهذه اليد ، وكأن جميع ما يأتيه كورش من أعمال تكون من يد اللّه لكمال مشيئته الطوباوية ، وهذا التدبير عينه هو الذى علّم به الروح بفم القديس بولس الرسول من جهة الحكام ، « **إنه لا يحمل السيف عبثاً بل هو خادم اللّه للصلاح** » ... ولذلك قال « **أطلب وقبل كل شئ أن تقام صلوات ... لأجل الملوك** » . وهكذا يرى الانسان المسيحى فى الحكام أنهم آلات فى يد القدير للمدح لصانعى الخير

وللانتقام من فاعلى الشر... لأن كل سلطان مرتب من الله . ولكن الذى يلفت النظر ، ما أشرنا إليه فى الأصحاح السابق وهو كيف أن كورش الملك الوثنى يلقّب بمسيح الرب !!!

من ملامح المسيا أنه يخضع له كل شئ ليصنع الخلاص بجبرؤوت إلهى ، ويبنى ملكوته ويؤسسه بالحق والسلام ، هذا ما أراد الروح أن يرسمه بشخص كورش الفارسى كرمز لعمل المسيا ... مجرد ظل بسيط للحق وشبه ولو من بعيد لشخص مسيحنا القدوس ، **أمسكت بيدى اليمين وبمشورتك هديتنى وبالمجد قبلتنى** ، هكذا تنبأ المزمور عن المسيا ، فإذا أمسك الرب بيده اليمين ، أخضع له شعوب وأمم ، ومهد أمامه الهضاب ، مثل ما قيل عن زرو بابل (رمز المسيح) من أنت أيها الجبل العظيم أمام زروبابل ، أنك تصير سهلاً ... وليس هذا فقط بل أيضاً أمام المسيا ستكسر مصاريع النحاس ومغاليق الحديد فى سجن الظلمة ، فى سجن الجحيم .

أليس هذا ما صنعه الرب يسوع إذ نزل إلى الجحيم وهتك سلطان الظلمة وكسر متاريسة النحاس وسبى سبياً ، وأعطى الناس كرامات .

وأعطيك ذخائر الظلمة وكنوز المخابئ .

هذه هى النفوس الغالية التى كانت محبوسة فى قبضة

روح الظلمة ، هذا هو السبى المبارك ، هؤلاء لما رأوا المخلص الرب قد أتى بجبرؤوت النور الذى لا يدنى منه ، وهربت قوات الظلمة صرخوا بفرح قائلين حسناً جئت أيها المخلص عبيده .

هكذا رسم الروح القدس تفاصيل العمل الخلاصى لشخص المسيا وإن كان بالرمز والظل فى شخص كورش الفارسى الملقب بمسيح الرب .

عدد ٤ – ٨ :

٤– لأجل عبدى يعقوب وإسرائيل مختارى دعوتك باسمك . لقبتك وأنت لست تعرفنى .

٥– أنا الرب وليس آخر . لا إله سواى . نطقتك وأنت لم تعرفنى .

٦– لكى يعلموا من مشرق الشمس ومن مغربها أن ليس غيرى . أنا الرب وليس آخر .

٧– مصور النور وخالق الظلمة صانع السلام وخالق الشر . أنا الرب صانع كل هذه .

٨– اقطرى أيتها السموات من فوق ولينزل الجو براً . لتنفتح الأرض فيثمر الخلاص ولتنبت براً معاً . أنا الرب قد خلقته .

لماذا دعى الرب كورش ملك فارس مسيحه ؟ لماذا أيده بالقوة وأمسكه بيمنه ؟

لماذا أخضع الشعوب له والأمم تحت قدميه ؟
لماذا مهد أمامه الجبال والآكام ؟
لماذا كسر له مصراعي النحاس ومغاليق الحديد ؟
الجواب على كل هذه الأسئلة هو لأجل عبدى يعقوب وإسرائيل مختاري

فإن كان من أجل إسرائيل القديم صنع الرب كل هذا ، فما بالك ومختاري الله الذين أعد لهم الملكوت قبل كون العالم ، اسرائيل الجديد ، **« مملكة وكهنوت وأمة مقدسة وشعب اقتناء »** ؟ هل يعسر على الرب أمر ، هل تستكثر على المخلص أن يصنع كل ما صنع ؟ .

بل من أجلنا صنع كل شئ وهو صانع ، وما أعذب أن تقرأ فى ضوء هذه الحقيقة كل أعمال الخلاص وتقول عن كل أعمال المسيح ... من أجلى **« من أجلى الجمت البحر ... من أجلى يا سيدى »** .

أما من جهة كورش نفسه فإن الوحى الإلهى يقول له : **دعوتك باسمك . لقبتك وأنت لم تعرفنى . نطقتك وأنت لم تعرفنى .**

فهو لا يعرف الرب معرفة العبادة والحياة ، معرفة الحب والإنتماء . بل قد لا يعرف أن الرب قد اختاره ليعمل به مسرته . إذ أن الخليقة كلها خاضعة للتدبير الإلهى .

فإن كان أولاد الله يخدمون التدبير الإلهى بالإرادة وتسليم المشيئة ، فإنه حتى الذين لا يعرفونه فإنهم يخدمونه دون أن يدركوا ، ويصنعون إرادته ويكملوا مشيئته كآلات فى يدى صانعها .

لذلك قال الوحى لكورش **أنت لم تعرفنى** .

وإذ يعمل الرب عمل الخلاص بمسيحه ، يقول « **لكى يعلموا من مشرق الشمس ومن مغربها أن ليس غيرى ... مصور النور ... صانع السلام** » . وهكذا يستعلن الخلاص من مشارق الشمس إلى مغاربها ، والذين لم تسمع أصواتهم خرجت بشارتهم بالقائم من الأموات إلى أقصاء المسكونة ، وبشروا الأمم والوثنيين بالإله الواحد وحده الحقيقى مصور النور والساكن فى النور ونقلوا العالم من الظلمة إلى النور الحقيقى ، ومن عبودية إبليس إلى حرية مجد أولاد النور ، وكرزو بالسلام وبشروا بالسلام حين قتل المسيح العداوة بالصليب .

وهنا ينادى منادٍ قائلاً : **اقطرى أيتها السموات من فوق ولينزل الجو برأ لتنفتح الأرض فيثمر الخلاص** .

ما هو ندى السموات النازل قاطراً على الأرض ، سوى الروح القدس الذى أرسله المسيح المخلص ، الماء الحى الذى يُحيى حياة أبدية نازلاً من السماء ، كألسنة نار ، نابعاً فى

الانسـان الـبـاطن كـأنهـار مـاء حـيـة ... هـكذا قـال المسـيح المخلص عن الروح القدس . وحينما تنفتح الأرض ، التراب (الانسان) وتقبل ندى السماء الروحانى فإنها تثمر الخلاص، ثمر الحياة الأبدية ، ثمر الروح من محبة وفرح وسلام .

لتنفتح الأرض فيثمر الخلاص ولتنبت براً معاً أنا الرب قد خلقته .

٩- ويلٌ لمن يخاصم جابله . خزف بين أخزاف الأرض . هل يقول الطين لجابله ماذا تصنع . أو يقول عملك ليس له يدان .

١٠- ويلٌ لمن يقول لأبيه ماذا تلد وللمرأة ماذا تلدين .

أمـر الرب بـالخـلاص ، هـو قـال فـكان ، وكـمـا خـلـق الخليقة الأولى بالكلمة صنع الخلاص بكلمته المتجسد فمن يستطيع أن يعترض أو يقاوم أو من صار للرب مشيراً

فإذا أعمل الانسان عقله وأراد إدراك سر الحكمة المذخر لنا ، فهل يستطيع أن يصل إلى كمال الإدراك ؟

قد تبدو قضية الخلاص صعبة الاستيعاب لدى بعض العقول ، فهل تخاصم الجبلة جابلها وتقول لماذا ؟ أو ماذا؟ أين فكر الانسان من فكر اللّه ؟

كما علت السماء عن الأرض هكذا علت أفكار اللّه عن أفكار الناس وطرقه عن طرقهم ... حقاً ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء . يكفى الجبلة أن تكون

فى يد صانعها ومشكلها ... طائعة ، إذ ليس لها أكثر من هذا ، فإن كانت مستحقة للكرامة جعلها آنية كرامة وإلا صارت آنية للهوان !!

أما أن تخاصم وتحاج فهذا أمر يفوق العقل ، هكذا يكون عمل الخلاص فائق للعقل ، غير خاضع لفكر الناس، بل ليس من حق الانسان -أياً من كان- إن يراجع افكار اللّه حتى وأن بدت له أعلى من قامته أو فائقة لفهمه وإدراكه .

عدد ١١ - ١٣ :

١١- هكذا يقول الرب قدوس إسرائيل وجابله . اسألونى عن الآتيات . من جهة بنى ومن جهة عمل يدى أوصونى .

١٢- أنا صنعت الأرض وخلقت الإنسان عليها . يداى أنا نشرتا السموات وكل جندها أنا أمرت .

١٣- أنا قد أنهضته بالنصر وكل طرقه أسهل . هو يبنى مدينتى ويطلق سبيى لا بثمن ولا بهدية قال رب الجنود .

من جهة عمل الخلاص فالخالق جابل إسرائيل من العدم ، الذى يصنع الخلاص هو إله المستحيل ، إله أمس واليوم وإلى الأبد ، إذ هو غير الزمنى ومن جهة القدرة هو ناشر السموات من فوق وباسط الأرض من أسفل ، خالق كل جند السماء ، الخليقة الروحية من فوق وجابل الانسان من التراب ساكن على أرض التراب ...

فيه يقوم الكل ما فى السموات وما على الأرض . هذا الإله القادر على كل شئ والذى لا يعسر عليه أمر ، هو صانع النعمة مرسل الخلاص .

يقول عن مسيحه ... (كورش) ... **أنا قد أنهضته بالنصر** ، أى أقامه ناهضاً ، وهذا ما يقال عن قيامة المسيا منتصراً لا على عدو بشرى وعلى لحم ودم ، بل منتصراً على الموت ناقضاً أوجاعه ظافراً بصليبه ، هو خرج غالباً ولكى يغلب كما رآه يوحنا الرائى .

وكل طرقه أسهّل ، لقد أرسل أمامه يوحنا المعمدان ، يقول قوّموا طريق الرب مستقيمة ، كل وطاء يرتفع وكل أكمة تنخفض ويصير الوعر سهلاً ، لقد سهل أمامه الطرق بالمناداة بالتوبة وجهز أمامه القلوب المعوجة والقاسية .

هو يبنى مدينتى ... أورشليم الجديدة هى الكنيسة مسكن الله مع الناس ، وهى جسد المسيح ، الذى صار هو رأس الكنيسة ومخلص الجسد . كان موسى أميناً على كل بيته أما المخلص فهو بانى البيت ، وبيته نحن كما يقول الرسول بولس فى مطلع رسالة العبرانيين ، وقد بنى بيته من حجارة حية وأسسه على ذاته إذ هو صخر الدهور فصرنا مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع نفسه حجر الزاوية .

ويطلق سبى لا بثمن ولا بهدية . هكذا صنع المسيح المخلص أطلق سبى المسبيين ، الذين كانوا أمواتاً بالذنوب والخطايا ، الذين قضوا كل حياتهم فى العبودية ، فى سبى إبليس ، فى سجون الظلمة وظلال الموت ، المأسورين تحت سلطان عدو الخير . حتى الذين فى سجن الجحيم أشرق عليهم وفكهم من وثاقات الظلمة بقيامته ، الجالسين فى كورة ظلال الموت ، أشرق عليهم نور وجه يسوع المسيح . وهو فك أسرهم لا بثمن ولا بهدية ، بل بصليبه ودمه ، «اشتريتم لا بفضة ولا بذهب من سيرتكم الباطلة بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب دم يسوع معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم ، لأنكم قد اشتريتم بثمن فمجدوا اللّه فى أجسادكم وفى أرواحكم التى للّه » .

هكذا أطلق المسبيين ، ودفع الثمن ، ربط هو لكى يحلنا من وثاقات الخطايا ، صلب على الصليب عرياناً ليكسو عرى كل بنى آدم ، قبل أن يموت ليمنح الحياة ... هذا لا يقدر بثمن ، بل يفوق كل تصورات وتقدير البشر ... إنه أغلى من أن يعبر عنه ... فشكراً للّه على عطيته التى لا يعبر عنها .

١٤- هكذا قال الرب تعب مصر وتجارة كوش والسبئيون ذوو القامة إليك يعبرون ولك يكونون . خلفك يمشون . بالقيود يمرون ولك يسجدون . إليك

يتضرعون قائلين فيك وحدك الله وليس آخر . ليس إله .

من علامات النصر فى القديم أن تخضع الشعوب والأمم للملكة التى تنتصر ويصير المهزومون أسرى وخاضعين هم ومقتنياتهم وأملاكهم ، هذا حوله الروح القدس مثلا للتشبيه حيث مثل الكنيسة إذ تنتصر بالقيامة من الأموات فى المسيح ، ويبنى هيكلها الجديد بيد مسيح الرب « **المشبه بكورش** » . فإن الممالك تخضع لها والشعوب تحت أقدامها ، لا نصرة مادية بل نصرة الروح التى ما بعدها نصرة ، فالمزمور يشهد للمسيح أن الرب يخضع أعداءه تحت قدميه ، بل يخضع كل شئ «**أخضعت كل شئ تحت قدميه**» ، وهذا السلطان أعطاه الرب للتلاميذ « **هانذا أعطيتكم سلطاناً لتدوسوا الحيات والعقارب ...** » . فمن جهة الثروات « **تعب مصر وتجارة كوش** » . ومن جهة القوة « **السبئيون ذوو القامة** » .

ماذا يكون حالهم إلا الانكسار والخضوع إذ لها سلطان أن تحل وتربط !!

ولكن ما هو سر النصرة ؟ وسر القوة ؟

هو هو وليس آخر . هكذا تشهد الأمم وتعترف إذ يصير إعلان وجود الله فى كنيسته ظاهراً بآيات وعجائب

وأمور لا يعبر عنها . تأمل ما كتب القديس بولس الرسول من جهة الأمم ، أنهم حينما يدخلون إلى الكنيسة ويسمعون كلمة الحياة . « **ولكن إن كان الجميع يتنبأون فدخل أحد غير مؤمن أو عامى فإنه يوبخ من الجميع وهكذا تصير خفايا قلبه ظاهرة وهكذا يخر على وجهه ويسجد لله منادياً أن الله بالحقيقة فيكم** » ١كو١٤ .

أنظر كيف تطابق هذه الكلمات ، كلمات النبوة بالحرف الواحد !! فاستعلان الله يكون فى كنيسته بقوة أيات وعجائب لا يمكن أن تخطئها عين ناظر .

والخضوع ، ليس خضوع اللحم والدم ، « بل حتى الأرواح كانت تخضع لنا باسمك » ، « كما شهد الرسل الأطهار بعد إرساليتهم الأولى ، ومن ذا الذى يرى مجد المسيح حالاً فى كنيسته ولا يقول بكل قوة وحق « فيك وحدك الله وليس أخر » . إنها شهادة صدق وحق من الذين فى الداخل بل ومن الذين هم من خارج أيضاً .

١٥– حقاً أنت إله محتجب يا إله إسرائيل المخلص .

١٦– قد خزوا وخجلوا كلهم . مضوا بالخجل جميعاً الصانعون التماثيل .

متى كان إله إسرائيل محتجباً ؟

إنه لما تجسد الابن الكلمة احتجب فى الجسد الذى أخذه من العذراء مريم ، فالحجاب هو جسده كما علم القديس بولس الرسول **« طريقاً كرسه لنا حديثاً حياً بالحجاب أى جسده »** ، الكلمة صار جسداً وحل بيننا لكى يصنع الخلاص ، ولكن لا يظن احد أن الخلاص الذى يصنعه المخلص ، هو خلاص وقتى أو زمنى أو مادى ، أو محدود ، كأنه خلاص من ضيقة أو حرب أو حصار ، أو جوع أو سيف الأعداء كما فى القديم . بل هو خلاص ابدى ، **« أما إسرائيل فيخلص بالرب خلاصاً أبدياً »** . هذه هى صفة الخلاص الذى صنعه المسيح ... خلاص ابدى ، أى يختص بالحياة الأبدية ، خلاص من الخطايا ، خلاص من الموت ، الخلاص الذى فتش عنه الأنبياء كما يقول بطرس الرسول: فكيف ننجو أن أهملنا خلاصاً هذا مقداره !!

أما أولئك الذين رفضوا هذا الخلاص ، فإنهم يكونون صانعو تماثيل ، ذاهبين وراء إله أخر ، فماذا يكون نصيبهم سوى الخزى والخجل **« قد خزوا وخجلوا كلهم، مضوا بالخجل جميعاً الصانعون التماثيل »** (عد ١٦) .

عدد ١٧ - ١٩ :

١٧ - أما إسرائيل فيخلص بالرب خلاصاً أبدياً .

لا تخزون ولا تخجلون إلى دهور الأبد .

١٨- لأنه هكذا قال الرب خالق السموات هو الله . مصور الأرض وصانعها . هو قررها . لم يخلقها باطلاً . للسكن صورها أنا الرب وليس آخر .

١٩ - لم أتكلم بالخفاء فى مكان من الأرض مظلم . لم أقل لنسل يعقوب باطلاً أطلبونى . أنا الرب متكلم بالصدق مخبر بالاستقامة .

من سمات نعمة الخلاص الأبدى الذى يتمتع به أولاد اللّه ، السلام الروحانى - سلام المسيح الخاص هذا أعطاه لرسله المكرمين بعد قيامته من الأموات « سلام لكم ، سلامى أترك لكم سلامى أنا أعطيكم ، ليس كما يعطى العالم » .

ومن هذا السلام يهرب الخوف والانزعاج ... « أنا هو لا تخافوا » . ففرح التلاميذ إذ رأوا الرب ...

وإذ نزع الرب ديون الخطايا وخزى آدم وعريه وستره بالصليب ، صار الانسان فى المسيح مرفوع الوجه ، مرفوع الرأس ، كما يقول الرب لأخصائه عند مجيئه الثانى « أرفعوا رؤوسكم فإن نجاتكم تقترب » .

وقد أخبرنا القديس يوحنا وأوصانا قائلاً « أيها الأولاد اثبتوا فيه حتى إذا أظهر يكون لنا ثقة ولا نخجل منه فى مجيئه » . هذه الثقة فى المخلص هى ثمرة الثبات فيه بالتناول من جسده « من يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فىَّ وأنا فيه » ...

أما الأشـرار فصـراخهـم يقول لـلجبـال اسقـطى علينا ولـلأكـام غطيـنا من وجـه الجـالس على الـعرش ، والـخـزى والـخجل يكون نصـيبهم إلى الأبد .

مـا أحـوجنـا أن نتمسك به ! لكى نتـقابل معه بوجه غير مـخزى ، وبثقة البنين ودالتهـم نقترب إليه بغير خوف

خـالق السموات ... للسكن صبورها .

السـمـوات الـجديـدة هـى مـسكن الـلّه مع الـنـاس . وهـى مـخلوقة لأولاد اللّه ، «الملك المعد لكم من قبل كون العـالم» .

المـيـراث الـسـمـاوى مـعـد لأولاد الـلّه الـذيـن صـارت اسماؤهـم مكتوبة فى السـموات ... فكما لبسـنا صـورة ذلك الـذى مـن الـتـراب . سـنلـبـس صـورة المســيح الـذى مـن السمـاء... حـينئذ نرث ميراثـنا السماوى فى المسـيح . لذلك يقول إنه لـم يـخلقها باطلاً .

لقد خلقها بتدبير ، خـلـقهـا لميراث أولاده الذين اختارهـم فيه وفداهـم بدمه وصاروا مـحبوبين لدى الآب .

للـسكن صـورهـا ... للسـكن الأبدى ... « فـى بيـت أبـى مـنـازل كثـيـرة ... مـتى مـا أعـددت لكم مـكاناً ، آتـى أيضـاً وآخذكم إلىَّ حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً » .

وهـذه المواعيد ليست مـخفية عن أولاد اللّه .

فهو لم يتكلم فى الخفاء فى مكان من الأرض مظلم !!

بل بعدما كلم الأباء بالأنبياء بطرق متنوعة ... كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة في ابنه ... وهذا لم يكن فى الخفاء... بل حتى فى اعترافه الأعتراف الحسن أمام بيلاطس البنطى وأمام رؤساء كهنة اليهود قال مخلصنا الصالح كلمات هذه النبوة بنصها « **أنا كلمت العالم علانية ... وفى الخفاء لم اتكلم شيئاً** » . ولم يفطن رؤساء الكهنة عارفو الناموس ، ولم يلتفتوا بكلمات النبوة ولا عرفوا المتكلم أنه اللّه خالق السماوات والأرض كما هو مكتوب « لأنهم لو عرفوا لما صلبوا رب المجد » .

ولم يتكلم فى مكان من الأرض مظلم ... لأنه تكلم فى الهيكل المعتبر مكاناً من السماء منيراً بحلول مجد اللّه فيه ... وكلمته خارقة إلى مفرق النفس وهى أمضى من كل سيف ذى حدين ... بل تكلم فى القلوب بروحه القدوس ناخساً الذين سمعوا فى يوم الخمسين ...

فشكراً للّه على عطيته التى لا يعبر عنها إذ لم يزل متكلماً فى الكنيسة كل يوم ... « **لم تزل كلمة الرب تنمو وتزداد فى هذه البيعة وكل بيعة** » كمل يقول قارئ الابركسيس فى كل قداس .

وهو متكلم بالصدق مخبّر بالاستقامة .

كلام الرب كلام نقى فضة مصفاة قد جربت فى

الأرض سبعة أضعاف . صادقة هى الكلمة ومستحقة لكل قبول ... أن المسيح جاء ليخلص الخطاة الذين أولهم أنا . كلمة الخلاص ... كلها حق وصدق واستقامة ، وهى مفصلة فى كنيسة الله من آباء الكنيسة ومعلميها الملهمين بالروح ، الذين يفصّلون كلمة الحق باستقامة ...

وهى والحال هذه لاترجع فارغة بل تعمل مسرة الله في النفوس لأجل الخلاص الأبدى .

عدد ٢٠ - ٢٢ :

٢٠ - اجتمعوا وهلموا تقدموا معاً أيها الناجون من الأمم . لا يعلم الحاملون خشب صنمهم والمصلون إلى إله لا يُخلِّص .

٢١- أخبروا قدموا وليتشاوروا معاً . من أعلم بهذه منذ القديم أخبر بها منذ زمان . أليس أنا الرب ولا إله آخر غيرى . إله بار ومخلص ليس سِوايَ .

٢٢- التفتوا إلىّ واخلصوا يا جميع أقاصى الأرض لأنى أنا الله وليس آخر .

الكلام هنا لجماعة المخلصين ، الذين قبلوا عمل المسيح واعتمدوا له ، اشتراهم وهم حسبوا أنفسهم أمواتاً عن العالم لكن احياء لله بالمسيح يسوع ربنا ، هؤلاء الذين اشتروا من العالم - الناجون من الأمم - لأن الخلاص هو هو النجاة من الموت وقبضة إبليس .

والرب يدعوهم أن يجتمعوا ويتقدموا معاً ككنيسة ، كجسد واحد وروح واحد ، يتقدمون إلى الرب بدالة وبغير خوف ، بجسارة البنين ويجتمعون بنفس واحدة كأعضاء الجسد الواحد . وهنا يفاض عليهم من العلاء علم ومعرفة وحكمة روحية ، بينما العالم وأهل العالم غارقون فى جهالات الظلام وظلمات الجهل بكل ما هو روحى سماوى.

فهم إذ يحملون خشب صنمهم ويتعبدون ويصلون إلى إله لا يخلص ، رمز لعبوديتهم للشهوات والأطماع والرغبات البشرية كآلهة ذهب وآلهة فضة ، ولكن هل هذه الآلهة التى يخضعون إرادتهم لها ... هل تخلص ؟

هل الاتكال على ذراع البشر يخلص ؟

هل الاتكال على الأموال والمقتنيات يخلص ؟

حاشا إنهم يصلون ويتبعون إله لا يخلص !! بكل أسف. إذ ليس اسم آخر ... سوى اسم الخلاص الذى لربنا يسوع المسيح وليس إله آخر أو رب آخر سوى الآب وابنه يسوع المسيح والروح القدس الكائن منذ الأزل وإلى الأبد . ثم ينادى الرب بصوت حنون ، صوت المخلص :

التفتوا إلىّ واخلصوا ياجميع أقاصى الأرض .

لماذا تلتفتون إلى كلام الكذب والأباطيل . لماذا تنشغلون مستعبدين لأركان العالم الضعيفة . أرفعوا عيونكم نحو

الصليب قوة الله للخلاص. هو قال أنا أن ارتفعت (على الصليبب) أجذب إليَّ كل أحد .

ألتفتوا إليه كما فى أيام القدم يوم أن نظروا إلى الحية النحاسية ... « **لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية** » .

ألتفتوا إليه وانظروا حبه ، لأن جميع الذين نظروه استناروا.

ألتفتوا إليه والمسوا قوته لأن جميع الذين لمسوه برئوا .

ألتفتوا إليه ... إرجعوا عن طرقكم التى ملتم إليها حائدين عن الطريق .

ألتفتوا إليه فهو أبرع جمالاً من بنى البشر .

ألتفتوا اليه فهو الطريق من يسلك فيه حتى الجهال لا يضل.

ألتفتوا إليه فهو نور العالم من يتبعه لا يسلك فى الظلام.

عدد ٢٣ – ٢٥ :

٢٣– بذاتى أقسمت خرج من فمى الصدق كلمة لا ترجع ، أنه لى تجثو كل ركبة يحلف كل لسان .

٢٤– قال لى إنما بالرب البر والقوة . إليه يأتى ويخزى جميع المغتاظين عليه .

٢٥– بالرب يتبرر ويفتخر كل نسل إسرائيل .

القسم الذى حلف (به الرب) لإبراهيم أبينا أن يعطينا

أننا بلا خوف منقذين من أيدى اعدائنا نعبده بقداسة وبر قدامه جميع أيام حياتنا .

هذا ما نطق به الروح بلسان زكريا الذى ظل صامتاً لا يستطيع الكلام ... فلما امتلأ القلب أنيناً روحياً ، وأنّات لا ينطق بها مع مزيج من صبر وشكر وصلاة صامتة متأملة فى تحقيق مواعيد الله للخلاص ، عندئذ فاض القلب بهذا الهدير من التسبيح ، وصار اللسان الصامت كمثل قلم كاتب ماهر أمسكه الروح ليسطر به ملامح المسيا كيف أنه **أبرع جمالاً من بنى البشر** . هذا هو القسم الذى حلف الرب لابراهيم ، أنى بالبركة وبالكثرة أكثر نسلك ، وأن فى نسله (المسيح) تتبارك جميع قبائل الأرض .

فالعبادة للمخلص والسجود حيث تجثو له كل ركبة ، تكون بالروح والحق كما كلم السامرية ، بالبر والقوة بحسب كلمات النبوة . والبر ، ليس هو بر انسان ، ولا أعمال بر عملناها ... بل برحمته نجانا بغسل الميلاد الجديد وتقديس الروح كما كتب القديس بولس إلى تلميذه تيطس.

بالرب يتبرر ويفتخر كل نسل إسرائيل الجديد أولاد إيمان ابراهيم ، الذين يؤمنون بالذى أقام المسيح من الأموات كما آمن إبراهيم بالله وحسب له إيمانه براً ... هو إذن بر الإيمان بيسوع ... راجع رسالة القديس بولس إلى أهل رومية . الاصحاح الرابع والخامس .



إشعياء ٤٦

١ – قد جثا بيل انحنى نبو ، صارت تماثيلهما على الحيوانات والبهائم . محمولاتكم مُحمّلة حملاً للمعيى .

٢ – قد انحنت جثت معاً لم تقدر أن تنجى الحمل وهى نفسها قد مضت فى السبى .

لقد انهارت عبادة الأوثان بظهور مجد مخلصنا ، هذا ما يتنبأ له اشعياء بالروح القدس بهذه الكلمات ، كما تنبأ من قبل فى الأصحاح التاسع عشر عند دخول المسيح المخلص إلى أرض مصر حين قال « **هوذا الرب راكب على سحابة سريعة وقادم إلى أرض مصر . فترتجف أوثان مصر** » وهذا ما حدث بالفعل إذ انكفأت أوثان مصر وانكسرت تماثيلها كما يذكر التقليد الكنسى .

تأمل كيف سقط داجون، وثن الفلسطينيين ، لما أدخلوا تابوت عهد الرب إلى معبد الوثن . « **وأخذ الفلسطينيون تابوت الله وأدخلوه إلى بيت داجون وأقاموه بقرب داجون ، وبكر الأشدوديون فى الغد وإذا بداجون ساقط على وجهه إلى الأرض أمام تابوت الرب ، فأخذوا داجون وأقاموه فى مكانه . وبكروا صباحاً في الغد وإذا بداجون ساقط على وجهه على الأرض أمام تابوت الرب ورأس**

داجون ويداه مقطوعة على العتبة بقى بدن السمكة فقط » اصم ٥ .

كيف تقوم قائمة للوثن فى حضرة تابوت عهد الرب ، فإن كانت الأصنام لم تثبت أمام شبه السماويات وظلها ، فكيف يكون الحال مع ظهور مخلصنا فى الجسد إذ أشرق جسدياً من العذراء مريم ... إن النور الحقيقى أضاء على الجالسين فى الظلمة ، فلا مكان للظلام ولابقاء ولا وجود... لقد انحنت الأوثان ، لم تصر تحمل نفسها ، أو لم تعد تحتمل نفسها ، فماذا يكون أمر حامليها وعبادها ؟

لقد صارت حملاً ثقيلاً على النفس ، أعيت النفوس من جرائها هذا هو فى الواقع نير العالم ... نير ثقيل ، حمل رهيب ، هم وغم معاً . أما نير المسيح ، فهو نير هين وحمل خفيف .

عدد ٣ – ٥ :

٣– اسمعوا لى يا بيت يعقوب وكل بقية بيت إسرائيل المحمّلين علىَّ من البطن المحمولين من الرحم .

٤– وإلى الشيخوخة أنا هو وإلى الشيبة أنا أحمل . قد فعلت وأنا أرفع وأنا أحمل وأنجى .

٥– بمن تشبهوننى وتسوّوننى وتمثلوننى لنتشابه ؟

لا وجه للشبه ولا للمقارنة من بعيد أو من قريب بين

التعبد للرب وتبعيته والخضوع لناموسه ، وبين السير وراء آخر مهما يكن هذا الآخر .

فنير المسيح هين وحمله خفيف ، ونير العالم مرّ قاس لا يطاق . هنا الرب يتكلم ، وهو يطلب آذان للسمع قائلاً **اسمعوا لى يا بيت إسرائيل** ، وهو يصف كيف أن الرب يحمل مختاريه من البطن ، من الرحم ، بل ومن قبل . مثل أم تربى أطفالها ، مثل نسر يرف على صغاره ، مثل راعٍ يحمل حملانه ، مثل أب حقيقى يتعب مع الضال ، يحمله بين منكبيه على صليب الخلاص .

فنحن محمولون عليه ، من الحشا ، بل مختارون فيه قبل تأسيس العالم ، هو خلقنا ، وهو حامل مسئولية خلاصنا حتى بعدما سقطنا فى الغواية وخالفنا وصيته . هو حمل اللّه حامل خطية العالم ... ونحن محمولون عليه كخطاة .

هو أرسل موسى فى القديم يقود شعبه غنم مرعاه ، وحملهم أربعين سنه فى البرية ، ولكن موسى كإنسان كلَّ منحنيا تحت نير حملهم ، وكان الرب فى الواقع هو الذى حملهم كما على أجنحة النسور . كان موسى رمزاً لمخلص العالم الذى حملنا فيه ، فى جسده ، وعندما رُفع على الصليب كنا معه وفيه ، وحينما قام أقامنا معه ،

وصعد إلى السموات وهو يحملنا فى طبيعته التى أخذها من العذراء .

أما قوله أننا محمولون عليه من البطن ، ومن الرحم ، فهو عن كنيسته التى تلد له بنين روحيين بعمل الروح القدس فى المعمودية المقدسة التى هى رحم الكنيسة . فالكلام ليس عن المولودين بحسب الجسد بل بحسب الروح ، الذين ولدوا ليس من دم ولا من جسد بل من اللّه.

لكن هل يقدم الرب ذاته كمن يحملنا فى زمان طفولتنا، ووقت ولادتنا فحسب ؟

حاشا فهو إذ أحب أحب إلى المنتهى . وإذ قدم ذاته ، بذلها بسخاء أبدى . وإذ فتح ذراعيه ... لا يعود يغلقهما ، إذ قد فتحهما إلى أقصى اتساع ... تأملهما ممدودتين على الصليب . فهو سيظل يتعب معنا حتى إلى الشيخوخة حتى إلى النهاية .

إلى الشيخوخة أنا هو . وإلى الشيبة أنا أحمل . يقود المرضعات ... ويعطى المعيى قوة .

قال الرب لبطرس **« لما كنت أكثر حداثة كنت تمنطق ذاتك وتمشى حيث تشاء ، ولكن متى شختَ فإنك تمد يديك وآخر يمنطقك ويذهب بك حيث لا تشاء »** . فهو يحملنا فى طفولتنا حانياً ومربياً ، وفى صبوّتنا هادياً ومؤدباً . وفى

شيخوختنا مكملاً ومكللاً . وفى كل هذا وذاك هو العامل والضامن لخلاصنا ، بل هو صانع الخلاص .

قد فعلت وأنا أرفع وأنا أحمل وأنجى ... هو هو ... وليس سواه... ومتى قال أنا ، فهل يوجد آخر يقولها ؟

أنه هو ، يقولها فيملأ بذاته الزمان والمكان والكيان ... فيه يقوم الكل .

أما من يتكل على آخر ، فقد أحنى ظهره لحمل ثقيل وهمّ ثقيل ، فتصير حياته كلها محملة على من لا ينفع أو يخلص ، فتصير الحياة من تعب إلى تعب ... حتى الموت.

عدد ٦ - ٧ :

٦- الذين يفرغون الذهب من الكيس والفضة بالميزان يزنون يستأجرون صائغاً ليصنعها إلهاً يخرون ويسجدون.

٧- يرفعونه على الكتف . يحملونه ويضعونه فى مكانه ليقف . من موضعه لا يبرح . يزعق أحدٌ إليه فلا يجيب . من شدته لا يخلصه .

من كلمات الوحى الإلهى نستطيع أن نلمس بوضوح حقائق لا تحتمل النقاش .

+ إن هناك غريزة داخلية وميل خفى سرى وانجذاب نحو العبادة إذ أن صورة اللّه منطبعة عميقاً فى وجدان الانسان ، فإلى أين يهرب منها ؟

وقد تصيب هذه الحاسة انحراف أو تزييف ، فيلجأ الانسان إلى التعبد لما هو ليس إله ، ولكن على كل حال لا يمكن أن تموت هذه الحاسة فى الانسان .

+تعبير « يخر ويسجد » الذى هو شكل العبادة ، هو تعبير عن الخضوع ... أن يضع الانسان نفسه ، يتنازل عن إرادته ، يجحد مشيئة نفسه ، يستلهم إرادة اللّه ، يتأسف على ما فرط منه ، جاعلاً نفسه فى عبودية إرادية ، معفراً وجهه بتراب الأرض ... كل هذه المعانى وغيرها ... يعبر عنها مجرد السجود ، وتوجد جذور هذه العبادة فى عمق كيان الانسان .

+إن الانسان فى شدته يلجأ لمخلص - أياً كان هذا الانسان.وأياً كان من يظن أنه يخلصه - ففكر الخلاص فكر عميق فى الانسان . ولجوء الانسان للأصنام قديماً ... هو لجوء للمجهول بكل ما حوته عبادة الأوثان من شعوذة ، وعمل خيالى وهمى ، إنما كان من نسج الانسان وتصورات قلبه وشوقه للخلاص ، وإن كان فى انحراف عن الإله الحقيقى والمخلص الحقيقى .

+إن الصراخ والصلاة والاستجابة ... هى من المكونات

الأساسية فى بنية روح الانسان ، بل هى اللبنات الأولى فى هيكله ... فكيف يكف الانسان عنها .

بقى أن نقول أن ما كان حادثاً ، هو أن الانسان قد وقع فريسة فى يد الشيطان فغرر به وأتاهه فى مسالك الهلاك الفكرى ، فانحرف الانسان فى عبادات غريبة . فالعنصر الانسانى مكوناته كائنة فى صميم الحياة ، فالانسان مخلوق للتسبيح والحمد ، للعبادة والخضوع . فإن لم يتعبد للّه فإن الشيطان يستعبده لما ليست آلهه .

ولكن السؤال ، لماذا الذهب والفضة بالذات ؟

لقد ساد العرف منذ القدم ، أن الذهب هو أغلى وأبهى معادن الأرض بالنسبة للانسان وتليه الفضة ، فصاغ منذ القديم معاملاته المادية من الذهب والفضة ، فكل ما هو فى الأرض ممكن أن يقيّم بهما ، فالأشياء والممتلكات والأراضى، والمعدات ، كلها تقيم بالذهب والفضة ، هى أموال هذا العالم .

فاذ طغى العالم المادى على فكر الانسان ، استعبد الانسان للذهب والفضة وصنع منهما تماثيل للعبادة ، وسماها آلهة... وخلاصة القول هو ما قاله الرب يسوع « **لا يقدر أحد أن يعبد ربين اللّه والمال** » فإن لازم الواحد احتقر الآخر ، وإن التصق بالواحد ترك الآخر ، وإن تعبد

لواحد خالف الآخر . وليس من بعد ما قاله الرب إضافةً فالقول واضح لا يحتاج منا إلى تعليق .

ولكن هل خلّصت هذه الآلهة التى اخترعها خيال الانسان بمعونة من العدو الشيطان وحيله ، هل خلّصت من التجأ إليها ... وللإجابة على هذه الاستفسارات فإننا نرجع بالرؤيا إلى أيام إيليا النبى ونتأمل فى أنبياء البعل بعد أن رتبوا الذبائح وصاروا يصرخون ويقطّعون أنفسهم من الصباح إلى المساء قائلين يا بعل أجبنا وإيليا النبى يهزأبهم ويقول زيدوا صراخاً لئلا يكون فى غفلة أو سفر... هذا هو حال الذين وضعوا رجاءهم فى مخلص آخر ...

ليس من يصغى ولا من يجيب ليس من ينجى من شدة أو يخلص من ضيق .

عدد ٨ - ١١ :

٨- اذكروا هذا وكونوا رجالاً ردّدوه فى قلوبكم أيها العصاة .

٩- اذكروا الأوليّات منذ القديم لأنى أنا اللّه وليس آخر الإله وليس مثلى .

١٠- مُخبرٌ منذ البدء بالأخير ومنذ القديم بما لم يُفعل قائلاً رأيى يقوم وأفعل كلّ مسرتى .

١١ – داعٍ من المشرق الكاسر من أرضٍ بعيدة رجل مشورتى كل تكلمتُ فأجريه قضيتُ فأفعله .

أن يتفكر الانسان بحكمةٍ فى الأمور الإلهية ، وما يكشفه الروح من أسرار من جهة المخلص ، وما يتكشف على ضوء هذا من سخافة اتباع آخر مثل عبادة الأوثان ... هذا التفكر والعمق يكون للإنسان كمن ينسلخ من طور الطفولة ويبلغ كمال الرجولة .

فمعرفة الله تتطلب ذهناً كاملاً « ... كونوا أطفالاً فى الشر أما فى أذهانكم فكونوا كاملين » ، وتحتاج أيضاً قوة فى الجهاد ليتشدد الروح ... « تقووا كونوا رجالاً » .

لا تكونوا بعد اطفالاً محمولين بكل ريح تعليم ... لأنه لما كنت طفلاً كطفل كنت افتكر وكطفل كنت اتكلم وكطفل كنت افطن ، ولما صرت رجلاً ابطلت ما للطفل . ردده فى قلوبكم ... ليس باللسان ولا بالكلام ... بل التفكر يكون عميقاً فى القلب ... القلب الذى تقسى بغرور الذهب والفضة ، إذا ما جاز فيه هذا الفكر يجعله ليناً للإحساس ، رقيقاً متجاوباً للمحبة .

أتريد أيها العزيز أن تكون فى هذا ، إرجع إلى أيام القدم... إلى معاملات الله منذ البدء ، منذ بدء الخليقة ، منذ زمن السقوط ... **اذكروا الأوليات** ... كلها دروس

كتبت من أجل خلاصنا ، نافعة للتعليم والتقويم والتوبيخ وتصحيح المسار ، مميزة أفكار القلب ...

بدون معرفة القديم تتوه النفس عن دروب الخلاص أتريد أن تعرف اللّه أو تتعرف على معاملات اللّه ... ؟

إن معرفة اللّه معلنة فى قصص الإيمان ... للإيمان **مخبر منذ البدء بالأخير ومنذ القديم بما لا يفعل .**

إن كلمة اللّه تحوى السر المكنون الذى فى التدبير الإلهى من نحو خلاص البشر ، وهى تعلن منذ البدء بما لا بدّ أن يكون . والذى يتتبع شعاع بشرى الخلاص منذ القديم ، يدرك قول المسيح لجماعة اليهود « **أنا من البدء ما كلمتكم به** » .

فهو هو قبل الدهور والأزمنة الأزلية ، متكلم بالخلاص فى تدبيره الذى يتخطى الزمن ويتفوق عليه إذ هو قديم الأيام لابداية أيام له ولا نهاية حياة .

فإن بدت الأمور جديدة . فهى هكذا بالنسبة للإنسان الزمنى ، فالحوادث تعلن فى ملء زمانها ... أما اللّه غير الزمنى فهو يتكلم عنها كما هى حاضرة فيه ، قائمة فيه ، مستعدة أن تعلن فى أزمنتها الخاصة .

فيالسعادة النفوس التى تتأمل مواعيد اللّه قبل حدوثها! وتتعلق بها بالرجاء ، لأنها لابد أن تكمل إذ أن

مـواعيـده هـى بـلا نـدامـة ، بل اسـمـعـه يقـول « **رأيى يقـوم وأفعل كل مسرتى** » .

فهو فاعل أمراً ومتمم فعله العجيب ، وكلمته التي قالها لا ترجع إليه فارغة بل تفعل كل مسرته .

فـلا ثـبـات وعـدم تغـيـر إلا لـلـكـلـمـة ، لأن دونها تـزول السمـوات « **السماء والأرض تزولان ولـكن كلامى لا يزول** » فلنمسك بإقرار الرجاء راسـخاً كقول الرسـول ، ولنعلق كل حياتنا على الكلمة « **على كلمتك ...** » ، ونثق بإيمان أن الرب قال فكان ، فليكن اسمه مباركاً أبداً .

+أما من جـهة الأحداث الـزمنية التـى كان يتكلـم النبى فى وقته أن يتمم الرب قضـاءه من جهة كورش ملك فارس الذى لقبه بمسيحه من جهـة عمل الخلاص للمسبين وبناء هيكل الرب وبيته فإن الوحى يقول :

١١- داع مـن المشـرق الـكاسـر . مـن أرض بعـيـدة رجـل مشورتى . قد تكلمت فأجريه . قضيت فأفعله .

ويلذ لـلـنفس أن تتعمق فى كلمـات الروح ، كيف يـدعو كورش بهـذا اللقب العـجيب ، « **رجل مشـورتى** » !؟ أليـس هـو رمز للمسيـح ؟ .

ان المسيح المبارك واحد مع أبيه فى الجوهـر ، وهـو حكمة اللّه والمذخـر فيه كل كنوز الحكمة ، وهو واحد مع الروح

القدس ، وقد وصفه الوحي الإلهي بالقول « يدعى اسمه عجيباً مشيراً » ، وعندما سكب عليه الروح القدس قيل عنه « روح المشورة » .

١٢ - اسمعوا لي يا أشداء القلوب البعيدين عن البِرّ .

١٣ - قد قربتُ بِرّي . لا يبعد وخلاصي لا يتأخر . وأجعل في صهيون خلاصاً ، لإسرائيل جلالي .

ما أكثر مراحمك يارب ، فالبشرى ليست للأبرار والصديقين بل لقساة القلوب البعيدين عن البر ...

الشعب الجالس في الظلمة أشرق عليهم النور ، هم لم يسعوا في أثر البر ، ولكن أدركهم البر . فالرب يقول « قد قربت بري » ... هو طأطأ السماء ونزل . هو اقترب من الخطاة ، ووجدهم ، « وُجدت من الذين لم يسألوني » ، صار قريباً من الذين لم يعرفوه ...

هذه نعمة الخلاص المعلنة في المسيح للفجار والأثمة ، ظهرت نعمة الله مخلصنا لجميع الناس . وما أجمل القول « خلاصي لا يتأخر » ! إن إلهنا لا يتباطأ ولا يتأخر فيما وعد به ، بل الذي نظنه أنه الهزيع الرابع في اعتبار البشر ، يكون هو زمن الافتقاد المرسوم منذ أزمنة الدهور .



يطلب من مكتبة كنيسة مارجرجس باسبورتنج

☏ ٥٩٦٦٩٨٨٨

المراسلات ص.ب ، ١٧ الابراهيمية - الاسكندرية

